نــــــــور المســـــيح
يسوع المسيح الغالب
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

مجلة شهرية

Issue No: 105 :عدد
May 2016 أيـار

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

الفصح العظيم المقدَّس

المسيح قام حقًّا قام

هَلُمُّوا خُذُوا نورًا، مِنَ النُّورِ الذي لا يَغْرُب.
وَمَجِّدُوا المسيحَ النَّاهِضَ مِنْ بَينِ الأَموَات.

محتويات العدد

2	تحيّة القيامة
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
4	قيامتنا مع المسيح للقديس سمعان اللّاهوتي
6	ومن ملئه نحن جميعًا أخذنا للقديس كيرلّس الإسكندري
9	القمر البدر القديس باييسيوس
10	الإستنارة والإفخارستيّا القديس يوستينوس الشهيد
11	زوال الدنيا والحياة الفانية
12	الرسالة الفصحية الرابعة للقديس أثناسيوس الكبير
14	الأحد الجديد القديس غريغوريوس اللّاهوتي
19	القديس نكتاريوس العجائبي
20	أقوال للحياة القديس نكتاريوس
21	العظات الثماني عشرة للقديس كيرللس الأورشليمي
22	الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور
22	العهد القديم ... (٨٨)
23	الغلاف الأخير: السامريّة

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة

في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

بعد أن قامت الثورة البلشفيّة في روسيا، أُرْسِلَ زعيمٌ شيوعي إلى احدى قرى روسيا ليُخبر الناس في تلك القرية عن فضائل الشيوعية، وَيُحوِّل عقولهم عن الدين الذي أسماه **(كارل ماركس) أفيون الشعوب.**

وبعد أن ضايَقَ الزعيم الشيوعي الناس طويلًا، قال للرَّاعي المسيحيِّ المحليِّ سَاخِرًا:

(والآن أَسْمَح لَكَ بخمس دقائق للإجابة)

اجاب الراعي: (لا احتاج الى خمس دقائق. تكفي فقط خمس ثوانٍ).. ووقف على المنبر، وحَيَّا الحاضرين تحية القيامة: **المسيحُ قام**

اجاب جميع اهل القرية بصوتٍ واحد:

(حقًّا قـام)

كان أهم حادثتين في التاريخ البشري هما **موت السيِّد المسيح وقيامته من بين الأموات.**

وكان موته وقيامته هما موضوع الرسل، ومركز كرازتهم:«وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ ... وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ. أَنْتُمْ بَعْدُ فِي خَطَايَاكُمْ!» (١كو١٥: ١٤-١٧).

إنّه اليوم الذي **أَبْطَلَ فيه الربّ سلطان الموت.**

كم من قديسين ٱرتَسمت على مُحيَّاهم ابتسامةُ الرضا والسَّلام عند ٱنتقالهم وكأنَّهم يهزؤون بالموت صارخين:«أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟» (١كو١٥: ٥٥).

عظة القديس يوحنا الذهبي الفم

من كان حَسَنَ العبادة ومحبًا لله، فليتمتع بحسن هذا المحفل البهج * من كان عبدًا شكورًا فليدخل فرح ربه مسرورًا * من تعب صائمًا فليأخذ الآن الدينار * من عَمِلَ من الساعة الأولى فليقبل حقه العادل * من قَدِمَ بعد الساعة الثالثة فليُعَيِّدْ شاكرًا * من وافى بعد السادسة فلا يشك مرتابًا فإنه لا يخسر شيئًا * من تخلّفَ إلى الساعة التاسعة ليتقدم غير مُرتابٍ * من وَصَلَ الساعة الحاديةَ عشرةَ فلا يخشيَنَّ الإبطاء * لأنَّ السيِّد كريمٌ جوَّاد * فهو يقبلُ الأخيرَ كما يقبلُ الأوَّل * يريحُ العاملَ من الساعةِ الحادية عشرة، كما يريح من عَمِلَ من الساعة الأولى * يرحمُ من جاءَ أخيرًا ويرضي من جاءَ أولًا * يعطي هذا ويهبُ ذاك * يقبلُ الأعمال ويُسَرُّ بالنيّة * يُكَرِّم الفعل ويمدح العَزْمَ * فادخلوا كلكم إذًا إلى فرح ربكم * أيها الأولون ويا أيها الآخِرُون خذوا اجرتكم * أيها الأغنياء ويا أيها الفقراء افرحوا معًا * سلكتم بإمساك أو توانيتم أكرموا هذا النهار * صمتم أو لم تصوموا * أفرحوا اليوم فالمائدة مملوءة فتنعموا كلكم ! * العجل سمين فلا ينصرف أحد جائعًا * تناولوا كلكم مشروب الإيمان * تنعموا كلكم بغنى الصلاح * لا يتحسر أحدٌ شاكيًا الفقر لان الملكوت العام قد ظهر * ولا يندب معددًا آثامًا لأن الفصح قد بزغ من القبر مُشرقًا * لايخشَ أحدٌ الموت، لأنّ موت المخلص قد حرَّرنا * هو أخمد الموت لما مات، وسبى الجحيم لما ٱنحدر إليها * فَتَمَرْمَرَتْ حينما ذاقت جسمه * وهذا عينه قد سبق إشعياء فعاينه فنادى قائلًا:تمرمرت الجحيم لما صادفتك داخلها * تمرمرت لأنها قد أُلْغِيَت * تمرمرت إذ هُزِئَ بها * تمرمرت لأنها قد أُبِيدَت * تمرمرت لأنها صُفِّدَت * تناولت جسدًا فألفته إلهًا * تناولت أرضًا فألفتها سماءً * تناولت ما كانت تنظُر فسقطت من حيث لم تنظُر * فأين شوكتك ياموت ؟ أين غلبتك يا جحيم ؟ * قام المسيح وأنت صُرِعْت * قام المسيح والجن سقطت * قام المسيح والملائكة فرحت * قام المسيح فَٱنْبَثَّتِ ٱلحياة في الجميع * قام المسيح ولا مَيْتَ في القبر * قام المسيح من بين الأموات فكان باكورة الراقدين * فله المجد إلى دهر الداهرين. آمين

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة قيامة القديس لعازر من بين الاموات واستقبال الفصح المجيد

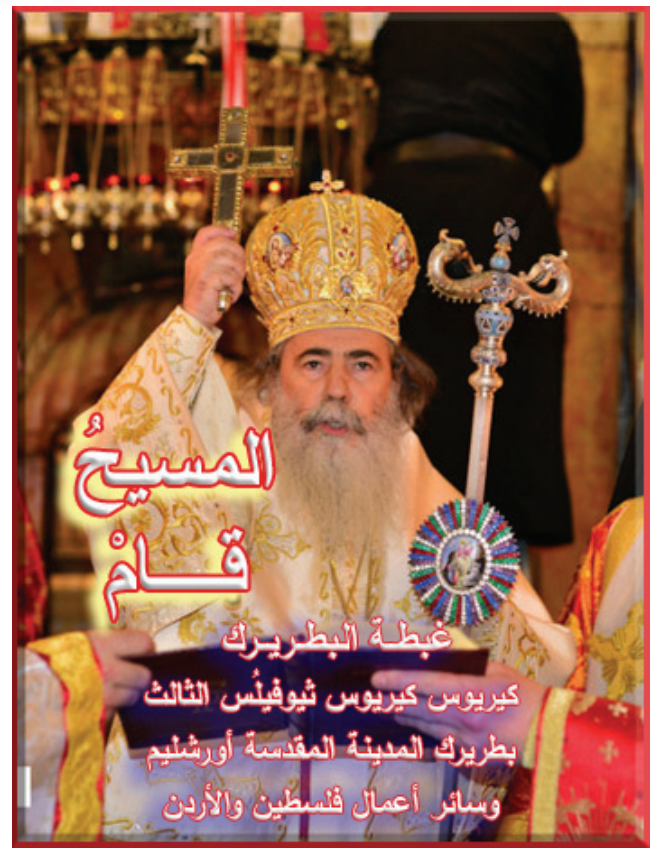

«أيُّهَا الربُّ السيِّد إنّ صَوتَكَ هَدَمَ مملكَة الجحيم، وكلمة سلطانك أنهضت من القبر الميتَ ذا الأربعة أيام، وقد صار أليعازر باكورة إعادة الولادة. وشاهدَ القيامة، فكلّ شيء مستطاع لديك يا ملك الكل، فَامْنَحْ عبيدك الغفرانَ والرحمة العظمى». هذا ما يرنم به مرنم الكنيسة.

أيها الأخوة المحبوبون بالرب يسوع المسيح،

ايها الزوار الأتقياء ،

يا له من عجبٍ عظيمٍ وباهرٍ! ما تُعيِّد له كنيستنا المقدسة اليوم هو "**إعادة ولادتنا، ومقدمةُ خلاصنا نحن البشر**"وهو "**إنهاض الميت ذي الأربعة أيامٍ من القبر**" أي "**القديس البار صديق المسيح أليعازر**" وقد صارت أحداث هذة القيامة في مدينة بيت عنيا الوارد ذكرها بالانجيل المقدس، حيث فيها كان مسكن وقبر أليعازر، وبها المكان المقدس الذي ٱلتقت به أُخْتَا اليعازر مريم ومرثا بالرب المخلص يسوع المسيح.

حقًا يا إخوتي الأحبة! لَعَظيمٌ هو وغريبةٌ هذة المعجزة وهي الإقامة من بين الإموات، والأفضل أن نقول قيامة أليعازر ذي الأربعة أيامٍ.

لقد تمت أحداث هذة القيامة قبل موت إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح على الصليب، وقيامته في اليوم الثالث من بين الاموات .

إن حدث هذه القيامة سوف يبقى غريبًا للناس، ينشغلون ويهتمون بالدُّنيويات، ولكن ليست غريبة على الناس، الذين يؤمنون بالرب يسوع المسيح، الذي لأجل خلاصنا نحن البشر ارتضى أن يتجسد ويصلب، ويقوم كما يعلّمنا القديس الرسول بولس: «إِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَام وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ»(١كور١٥: ١٣-١٤).

إن أقوال الرسول بولس هي ما أكّد عليها الرب يسوع المسيح بنفسه لمرثا أخت اليعازر، عندما استقبلته خارج مدينة بيت عنيا ، اي في هذا المكان المقدس، حيث وقفت في تلك اللحظات المقدسة قائلًا لها الرب يسوع المسيح: قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «سَيَقُومُ أَخُوكِ»، قَالَتْ لَهُ مَرْثَا:«أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي الْقِيَامَةِ، فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ» قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ. أَتُؤْمِنِينَ بِهذَا؟» (يو١١: ٢٣-٢٦).

يقول القديس ثيوفيلاكتوس مفسرًا هذه الأقوال الربَّانيّة: "وإن كان سيموت مُؤَقَّتًا بسبب موت الجسد، لكن لن يموت أبدًا بسبب حياة الروح وخلود القيامة". ويقول القديس كيرلّس الإسكندري أيضًا: "الذي يؤمن به (بالمسيح) سيكون له في الدهر الآتي حياة لا تفنى في غبطةٍ وعدم فساد كامل".

إن كنيستنا المقدسة أيها الأحبة، والتي تقوم بتحضيرنا لكي نكون مشاركين وشاهدين بالروح للآلام الألهية الطاهرة، وعلى الأخص قيامة المسيح، وكما يهتف المرنم قائلاً:" أيها المسيح الإله لما اقمت لعازر من بين الأموات قبل الآمك، حققت القيامة العامة ، لأجل ذلك ونحن كالأطفال، نحمل علامة الغَلَبَةِ والظَّفَرِ صارخين إليك يا غالبَ الموت، أوصنا في الأعالي مباركُ الآتي باسم الرب ."

وقد سبق الرب يسوع المسيح قد أقام صديقه أليعازر علنًا من بين الأموات، وذلك لأنه أراد أن يبرهن لتلاميذه انه حقًا هو القيامة والحياة، وهو غالبٌ الموتَ والخطيئةَ .

إن الاختلاف الجوهري بين إقامة أليعازر من بين الأموات، وقيامة ربنا يسوع تكمن في أن المسيح، **إله تام وإنسان تام**، ولم يُنْهِض (المسيح) فقط جسده من بين الأموات (أي جسد يسوع ابن

العذراء مريم) ولكنه أقام وأنهض كل طبيعتنا البشرية، التي أخذها من دماء الطاهرة والدة الإله العذراء مريم بالروح القدس، وحرَّر هذه الطبيعة من قيود الفساد والموت والخطيئة.

لذلك يقول المرنم :

إن قيامة أليعازر صارت مقدمة خلاصية، أي سابق إنذار خلاصي لإعادة ولادتنا في المسيح في يوم عُمَّادِنَا، كما يقول بولس الإلهي: «أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ، فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟» (رو٦:٣-٤) وهذا ما تعنيه بالضبط إعادة الولادة، أي حياتنا الجديدة في المسيح المصلوب والقائم من بين الأموات في اليوم الثالث.

إن ربنا القائم يسوع المسيح يا أحبائي هو بيننا ملموسٌ ومرئيٌّ، بواسطة جسده أي الكنيسة، التي تحيا بواسطة الروح القدس الذي يفعل في أسرار الكنيسة المقدسة، وبالتالي في سرّ الكنيسة العظيم، سرّ الشكر الإلهي الذي نصير فيه مشاركي الحياة الأبدية، التي هي قيامته، عندما نذوق جسده الرَّبَّانِي ودمَهُ المُهْرَاقَ من أجلنا ومن اجل كثيرين لغفران الخطايا.

هيّا إذن يا إخوتي الأحباء نشكر الله الثالوث القدوس، ونقول مع المُرَتِّلِ: ”إذ قد أكملنا الأربعين النافعة، يا رب بوسائل لعازر ومريم ومرثا أهلنا أن نصير مشاهدين آلامك وصليبك وليوم قيامتك البَهِيِّ ملك الأيام يا مُحِبَّ البشرِ“. آمين

المسيح قام، حقًا قام

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

آبائي واخوتي،

ها الفصح قد أتى، هذا اليوم البهيج، المانح الفرح والسرور، يوم **قيامة المسيح**، الفصح العائد إلينا في كل سنة، بل بالأحرى الذي يتحقق كل يوم، وبشكل أبدي في النفوس العارفة سرَّه. لذا قد ملأ قلوبنا بالفرح والبهجة التي لا توصف. وأنهى في الوقت ذاته جهاد الصوم المقدس، بل بالأحرى قد أكمل نفوسنا وشجعها في آن واحد. وهكذا قد أتى الفصح داعيًا إيَّانَا وكل المؤمنين معًا إلى الراحة والشكر.

فَلْنَشْكُر إذًا الربَّ الذي أهَّلنا لأن نجتاز بحر الصوم، وهدانا بفرح إلى ميناء قيامته. لِيَشْكُرْهُ كلُّ من أكمل حلبة الصوم بِجِدٍّ ونشاط، بهمة وحرارة، وجهاد في سبيل اكتساب الفضيلة، وَلْيَشْكُرْهُ أيضًا كل من تَقاعس بسبب الاهمال وضعف النفس. لأن الرب يمنح أكاليل مضاعفة للمجاهدين الأشداء، وأجرًا لائقًا بأعمالهم، ويُسامح المُتَهاملين لأنه رحيم محب للبشر. ينظر إلى قلوبنا واستعدادها، إلى النوايا أكثر مما ينظر إلى الأتعاب الجسدية التي نبذُلها في سبيل الفضيلة، أَبَذَلْنَا جُهدًا كبيرًا بعزم كليّ أم قمنا – **بسبب ضعف الجسد** – بأقل مما يقوم به المجاهدون الأقوياء. يوزّع الجوائز ومواهب الروح لكل واحد حسب النوايا وبتوافق. فإما أن يُبرز أحد المجاهدين الأشداء ويمجده، او يَدَعهُ وضيعًا راجيًا منه نقاوة أكثر.

لنرَ إن شئتم، ونتأمَّل جيدًا ماهيّة **سرّ قيامة المسيح إلهنا**، السرّ الذي يعمل فينا سِرًّا (مستيكيًا) في كل الأوقات، وكيف أن المسيح مدفونٌ فينا كما في قبر، وكيف أنه يتحد بنفوسنا ويقوم ثانية، وَيُنْهِضُنَا معه. **هذا هو هدف حديثنا**.

المسيح إلهنا عُلِّقَ على الصليب **وَسَمَّرَ** عليه خطايا العالم. لقد ذاق الموت ونزل إلى أسافل الجحيم. ولدى صعوده من الجحيم اتَّحد بجسده الطاهر الذي لم ينفصل عنه أبدًا. وقام للحال من بين الأموات، ثم صعد إلى السماء بمجد عظيم. هكذا نحن أيضًا الآن وقد خرجنا من العالم (**عالم الخطيئة**) ودخلنا إلى قبر التوبة والاتضاع على شبه آلام المسيح، هو ذاته ينزل من السماء ويدخل إلى جسدنا كما إلى قبر. وعند اتحاده بنفوسنا يقيمها، كونها مائتة بالحقيقة. ثم يمنح اولئك القائمين هكذا معه أن يروا مجد قيامته السرِّية (المستيكيّة).

قيامة المسيح هي إذن **قيامتنا** نحن الواقعين في الخطيئة. إذ أنه كيف يمكن أن يقوم ويتمجَّد ذاك الذي لم يسقط أبدًا في خطيئة، ولم ينفصل البتَّة عن مجده، الذي هو ممجَّد على الدوام بصورة فائقة،

الكائن «فَوقَ كُلِّ رِئَاسَةٍ وسُلْطَانٍ» (أف ١:٢١)؟

لذا، فقيامة المسيح ومجده هما مجدنا، كما ذكرنا. فمن خلال قيامته فينا تتحقق القيامة في داخلنا، تُكشف لنا ونراها. فهو إذ آتخذ ما هو لنا، ينسب إلى ذاته ما يُتممه فينا. إن قيامة النفس هي اتحادها بالحياة. كما أن الجسد المائت إن لم يَتَقَبَّل النفس الحية ويتحد بها بدون امتزاج، لا يُقال عنه إنه حيٌّ ولا يمكن له أن يحيا، هكذا فان النفس لا تستطيع أن تحيا وحدها إن لم تتحد بالله – الحياة الأبدية الحقّة – اتحادًا فائقًا لا اختلاط فيه. قبل هذا الاتحاد تكون النفس مائتة من جهة المعرفة والرؤيا والإدراك، بالرغم من إنها عاقلة وخالدة بالطبيعة. ليس هناك معرفة بدون رؤيا، ولا رؤيا بدون معرفة. هذا ما أريد أن أقوله: الرؤيا تأتي أولًا، وبالرؤيا المعرفة والإدراك. أقول ذلك بالنسبة للأمور الروحانية، لأنه في الأمور الجسدانية هناك ادراك حتى بدون رؤيا. عندما تصدم رجل الأعمى حجرًا يشعر بالصدمة، أما المائت فلا. لكن بالنسبة للأمور الروحانية، إن لم يرتفع العقل إلى التأمل (الرؤيا) في الأمور التي تتخطى الفكر، لا يدرك أفعال النعمة السرّية (المستيكيّة). فذلك الذي لم يصل إلى التأمل في الأمور الروحانية، ويزعم أنه يدرك الأمور الفائقة على العقل والكلام والفكر، يشبه الأعمى الذي يشعرُ بما يحصل من خير أو شر لكنه يجهل ما هو بين يديه أو عند قدميه، حتى وإن كانا مسألة حياة أو موت بالنسبة له. ولكونه فاقدًا للقدرة على الرؤيا فلا يستطيع ان يدرك الأمور الحسنة أو السيئة الآتية عليه. لذلك، وفي كثير من الأحيان، يرفع عصاه أمام العدو فيصيب صديقًا له، بينما يكون العدو واقفًا أمامه ومستهزئًا به.

كثيرون هم الذين يؤمنون بقيامة المسيح، لكن قليلون هم الذين عندهم رؤيا واضحة لها. أولئك الذين ليس عندهم رؤيا لا يستطيعون حتى أن يعبدوا يسوع المسيح قدوسًا وربًا. لقد قيل: «وَلَيسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ:«يَسُوعُ رَبٌّ» إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ» (١ كو ١٢:٣)، وقيل أيضًا: « اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا» (يو ٤). إن الصيغة المقدسة التي نتلوها دائمًا لا تقول: "إذ قد آمنا بقيامة المسيح"، بل تقول: "إذ قد رأينا قيامة المسيح، فلنسجد للرب القدوس البريء من الخطأ وحده ".

كيف يمكن للروح القدس أن يحثَّنا أن نقول "إذ قد رأينا قيامة المسيح"، التي لم نَرَها، وكأننا رأيناها عندما قام المسيح قبل ألف سنة (زمن كتابة العظة)، بل حتى لحظة القيامة ذاتها لم يَرَها أحد؟

بالتأكيد الكتاب لا يريدنا أن نكذب! حاشا! على العكس هو يدعونا أن نقول الحقيقة، إذ أن قيامة المسيح تحصل فعلًا في نفس كل مؤمن منفردًا، وذلك ليس مرة واحدة بل في كل ساعة عندما يقوم المسيح السيِّد فينا لابسًا الجلال (مز ٩٢) ومُشِعًّا بأشِعَّةِ ٱلألوهيِّة وعدم الفساد. ذلك أن حضور الروح القدس المنير يكشفُ لنا قيامة المسيح كما في نور صباحي، أو بالأحرى يؤهلنا لرؤية المسيح نفسه قائمًا. لذلك نقول: «الرَّبُّ هُوَ اللهُ وَقَدْ أَنَارَ لَنَا» (مز ١١٧)، ونشير إلى مجيئه الثاني ونقول: «مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ» (مز ١١٧).

إن أولئك الذين أنارهم المسيح بفعل قيامته، يظهر لهم روحانيًّا، فيرونه بأعينهم الروحانية. عندما يحدث ذلك فينا بنعمة الروح القدس، يقيمنا من بين الأموات ويعطينا حياة. ويؤهلنا لرؤيته، فهو عديم الموت والفناء. ليس هذا فحسب بل يمنحنا أيضًا معرفته، معرفة ذاك الذي أقامنا (أف٢:٦) وَمَجَّدَنَا معه (رو٨:١٧)، كما يشهد على ذلك الكتاب المقدس بأسره.

هذه هي أسرار المسيحيين الإلٰهية، هذه هي **قوة إيماننا الخَفِيَّة**، القوة التي **لا يعرفها غير المؤمنين والمُشَكِّكون وقليلو الإيمان، ولا يمكنهم أن يروها**.

غير المؤمنين والمُشَكِّكون وقليلو الإيمان هم الذين لا يُظهرون إيمانهم بأعمالهم. فإن **الشياطين** أيضًا تؤمن بدون أعمال، وتعترف بأن المسيح السيد هو إله ورب. إذ تقول بلسان فردها: «أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنْتَ قُدُّوسُ اللهِ!» (لو٤:٣٤)، وفي مكان آخر: «هؤُلاَءِ النَّاسُ هُمْ عَبِيدُ اللهِ الْعَلِيِّ» (أع ١٦)، ولكن مثل هذا الايمان لا يفيد الشياطين ولا حتى البشر. لا فائدة لمثل هذا الإيمان فهو مَيّت حسب قول الرسول: «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ بِدُونِ رُوحٍ مَيِّتٌ، هكَذَا الإِيمَانُ أَيْضًا بِدُونِ أَعْمَال مَيِّتٌ.» (يع ٢)، كذلك هو الحال مع الأعمال بدون إيمان. **ولماذا هو ميت؟** لأنه لا يحتوي الله الذي يعطي الحياة في داخله، لأن ذلك الإنسان لم يُمسك بذاك الذي قال: «إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً» (يو ١٤)، حتى بحضوره يقيم المؤمن من بين الأموات ويحييه ويمنحه رؤيته ذاك الذي قام فيه وأقامه.

لهذا السبب، مثل هذا الايمان ميت، أو بالأحرى الذين لهم إيمان بدون أعمال هم أموات. لأن الإيمان بالله حي على الدوام، ويُحيي الذين يأتون إليه بنية حسنة ويتقبلونه. لقد قاد الكثيرين من الموت إلى الحياة حتى قبل أن يتمموا وصايا الله، وكشف لهم المسيح الإله. ولو بقوا أمينين على الوصايا، مُطَبِّقِينَ إياها حتى الموت، لحفظوا أنفسهم بواسطتها، وذلك بسبب إيمانهم الحيّ وحده. لكن نظرًا لأنهم «انْحَرَفُوا كَقَوْسٍ مُخْطِئَةٍ.» (مز٥٧:٧٧)، عالقين في شبكة أعمالهم السالفة، اضاعوا للحال إيمانهم، وجرَّدوا أنفسهم من المسيح الإله **الجوهرة الحقيقية**.

لنحفظ إذًا وصايا الله على قدر استطاعتنا حتى لا يقع لنا مثلهم، ولكي نتمتع بالخيرات الحاضرة والمستقبلة، خاصة رؤية المسيح، التي نشتهيها كلنا بنعمة ربنا يسوع المسيح، الذي يليق به كل مجد إلى أبد الدهور، آمين.

الله يُعطينا من ملء نعمته منذ أن خُلِقْنَا:

الله إلهنا الصالح، أظهَرَ لنا صلاحه وغناه وسخاء محبّته منذ خَلْقِهِ للعالَم والبشرية في البداية. فهو بصلاحه «فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ» (تك١:١). وفي خَلقِه للسموات، جعل «اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ.» (مز١٨:١). وفي خَلقِه للأرض، جعل اسمه ممجدًا في كلّ الأرض: « أَيُّهَا الرَّبُّ رَبُّنَا ما أَعْجَب ٱسْمَكَ عَلَى الأَرْضِ كلِّهَا، لأَنَّهُ قَدِ ارْتَفَعَ عِظَمُ جَلالِكَ فَوْقَ السَّمواتِ.» (مز٨:١). وكل ما خلقَ الله في ستة أيام الخليقة، رأى أنه حسنٌ، وفي إتمام خَلْقَتِهِ لكلّ شيء «وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا.» (تك١:٣١). وعندما خلق الله الإنسان جعله تاج الخليقة كلها، حتى إنه قال: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ» (تك١:٢٦).

ويُعَلِّق على ذلك **القديس غريغوريوس النيصي** قائلًا:

﴿ فالإنسان كان الصورة والشَّبَه للقوّة التي تَحكُم كل الأشياء الموجودة.ولهذا السبب فهو يشبه، بِحُريّةِ إرادتِهِ، ذاك الذي يَبْسُطُ سُلطانه على المسكونة كلّها. فقد كان غير مُسْتَعبَدٍ لِأَيِّ إجبار خارجي. ولكنه كان يُوَجِّه نفسه بعقله الخاص، وإرادته إلى ما يُريده، ويختار بمُطلَق حريّته ما يسرُّه﴾ *(De Virginitat)*.

ولكن **القديس كيرلّس الكبير** يُضيف على ذلك، بأنَّ صورة الله وشبهه في الإنسان، هي بالأساس وقبل كل شيء من حيث الفضيلة والقداسة، وذلك في قوله:

﴿يجب أن نفهم أن خلقتنا على صورة الله أساسًا، وقبل كل شيء، معناها الأصح هو من حيث الفضيلة والقداسة (أجياسمون) (ἁγιασμόν)، لأنّ الله قدّوس، وهو ينبوع وبداية وأصل كلّ فضيلة. ولكي نعرف أن هذا هو ما ينبغي أن نفهمه عن خلقة الإنسان على صورة الله، يُخبرنا بولس الحكيم في رسالته إلى الغلاطيين: «يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضًا إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُم» (غلاطية ٤:١٩). لأن تصوُّر المسيح فينا، هو بالقداسة التي تأتي من الروح بواسطة الدعوة التي تشتمل على الإيمان به﴾ (Pusey, *In Ioannem 3,592*).

وفي قولٍ آخر **للقديس كيرلّس الكبير** يُوَضِّح أيضًا أنَّ صورة الله في الإنسان، هي المشاركة في الطبيعة الإلهية فيقول:

﴿ فالإنسان قد نُفِخَ فيه حقًّا نسمة حياة قوّة الله التي لا يُعَبَّر عنها، وَجُعِلَ على صورة الله بالقدر الذي صار فيه خَيِّرًا وَبَارًّا بالطبيعة، وقادرًا على كُلِّ فضيلة؛ ولكنه قد تَقَدَّس لَمَّا جُعِلَ مُشَارِكًا بالرّوح القدس... ﴾ (Pusey, *In Ioannem 3,553-554*).

كما يقول أيضًا مُوَضِّحًا الفرق بين الخلقة الأولى للإنسان وبين تجديد خلقته بواسطة الكلمة المتجسّد:

﴿ **خلقة الإنسان الأولى** كانت تتضمن التقديس بواسطة الروح، وإلّا ما كان مُمكنًا للإنسان أن يُصَاغ على صورة الله. **وتجديد خلقة الإنسان** (بتجسُّد المسيح وموته وقيامته وإرسال الروح القدس) هي عملية مماثلة، تتمُّ على طريق المشاركة في الروح الذي قد أُعطِيَ للبشرية الْمَفْدِيَّةِ بواسطة الابن الكلمة المتجسّد. وفي الواقع، إنَّنا بالتقديس يُعاد تكويننا لنُطابق الروح (القدس) ولنطابق الابن كذلك، والشَّبَه الطبيعي للابن هو الروح (القدس)؛ فنحن في إعادة تكويننا حسب الروح، نُصَاغ ثانيةً لنكون حسب حياة الله ذاته﴾ (PG 75:1089).

وفي قولٍ آخر له، يَزيد توضيح ما قاله سابقًا:

﴿ ولكن الاتحاد بالله يستحيل إحرازه لأيِّ واحدٍ سوى عن طريق المشاركة في الروح القدس، الذي يطبع فينا قداسته الحقيقية، ويُعيد صياغة الطبيعة التي سقطت في الفساد لتحصل على حياته الخاصة. وهكذا يُرَدُّ إلى الله وإلى استرداد شَبَهه ما قد تَجَرَّد من هذا المجد؛ لأن الصورة الكاملة للآب هو الابن، والتماثل الطبيعي للابن هو الروح (القدس). فالروح إذن في خلقته من جديد لنفوس البَشَر لكي تصير له، يُحضِر فيهم شَبَه الله، ويضع ختم التمثُّل بالجوهر الأسمى ﴾ (Pusey, *In Ioannem 11,11*).

«لأنَّ الناموس بموسى أُعطِيَ، وأما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو١:١٧):

رغم أنَّ كهنة العهد القديم الذين كانوا يُقَدِّمون قرابين حسب الناموس المُعطَى بواسطة موسى «الَّذِينَ يَخْدِمُونَ شِبْهَ السَّمَاوِيَّاتِ وَظِلَّهَا، كَمَا أُوحِيَ إِلَى مُوسَى وَهُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَصْنَعَ الْمَسْكَنَ.» (عب٨:٥)؛ إلّا أنَّ أشباه السماويّات هذه كانت تُشير إلى النعمة والحق اللذين صارا لنا بالمسيح يسوع. فقد تضمَّنت شريعة موسى من الذبائح التي كانت تُقَدَّم **ذبيحة الملء** (خر٢٩:١٩-٢٢).

وذبيحة الملء، هي كبشٌ بلا عَيْبٍ يضع هارون وبنوه أيديهم على رأسه، ثمَّ يُذبح لكي يُمثِّلهم في تقديس ذواتهم لخدمة الربّ إلى النَّفَس الأخير. وكان موسى يأخذ من دم الكبش، ويجعل منه على شُحْمة الآذان اليُمنى لهارونَ وبنيه، وعلى أبَاهِم أيديهم اليُمنى وعلى أبَاهم أرجلهم اليُمنى، (**أَبَاهِم جمع إبهام**) ثمّ يَرُشُّ الدَّم على المذبح من كلّ ناحية. وفي هذا إشارة إلى تكريس آذانهم لسماع كلمة الربّ وطاعته، وتكريس أيديهم لعمل ما يُرضيه بكل قوَّته، وتكريس أرجلهم للسير في طُرُقه. وقد اختيرت هذه الأعضاء الثلاثة اليُمنى كرمزٍ لتقديم ذواتها بأجمعها للربّ. أما رشّ المذبح من كل ناحية بالدَّم، فهو لأنَّ تكريسهم قائِمٌ على خدمة المذبح الذي يُمثِّل حِضْنَ الربّ.

فَدَهْنُهُم بالدَّم، ثمّ رشُّ الدَّم على المذبح، يُشير إلى العهد المشترك بين الله وبين عبيده خُدَّام المذبح. ثمّ يأخذ موسى من الدَّم الذي على المذبح ومن دُهْنِ المِسْحَةِ، يَنْضَحُهُ على هارون وبنوه وثيابهم معه. هذه هي أهم مراحل طقس الرِّسَامَةِ التي تُشير إلى الأقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس، ممثَّلةً في المذبح ودم الذبيحة ودُهْنِ المسحة. وفي الختام يأكلون من اللحم المطبوخ لكبش الملء، إشارة إلى الأكل من جسد المسيح ودمه للإتحاد به. وبعد هذا الختام العظيم لطقس رسامة هارون، رئيس الكهنة وبنيه الكهنة بالأكل من وليمة كبش الملء، طَلَب الله من موسى قائلًا: «وَتَصْنَعُ لِهَارُونَ وَبَنِيهِ هكَذَا بِحَسَبِ كُلِّ مَا أَمَرْتُكَ. سَبْعَةَ أَيَّامٍ تَمْلأُ أَيْدِيَهُمْ. وَتُقَدِّمُ ثَوْرَ خَطِيَّةٍ كُلَّ يَوْمٍ لأَجْلِ الْكَفَّارَةِ.» (خر٢٩: ٣٥-٣٦).

وللقديس كيرلّس الكبير قَولٌ مُضيء يُقارِنُ فيه بين سُكنَى الله مع شعبه في القديم، وبين المسكن الذي أقامه المسيح لأحبَّائه الذين فداهم بدمه، وملأهم بروحه القدوس، وأطعمهم من جسده ودمه:

﴿إنَّ الخيمة القديمة نُصِبَت في البريَّة بواسطة موسى، وكانت مناسبة للذين يكهنون بحسب الناموس؛ أمَّا المسكن الذي يُناسب المسيح، فهو المدينة البهيَّة التي من فوق، أي السماء عينها، التي هي الخيمة الإلهيّة غير المصنوعة بمهارة بشرية، ولكنها إلهيّة فائقة. والآن إذ صار المسيح هناك، فهو يقدِّم لله أبيه المؤمنين به حتى يتقدَّسوا بالرّوح، كما قال: «لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي.» (يو١٤: ٦). وهذه هي في الواقع حقيقة خدمته الليتورجية المذكورة في هذا الموضع: «خَادِمًا لِلأَقْدَاسِ وَالْمَسْكَنِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي نَصَبَهُ الرَّبُّ لاَ إِنْسَانٌ.» (عب ٨: ٢). وهي خدمة لائقة حقًّا بلاهوته، ولو أنَّ الإشارة إليها جاءت بكلمات بشرية تُناسبنا. فإن كان المسيح يستطيع (بهذه الخدمة السمائية) أن يُقدِّس المؤمنين به بروحه الخاص، فيتبرّرون بنعمته ورحمته، ثمّ يُقرِّبهم كذبائح لله، بعد أن ماتوا عن العالم وعاشوا بالروح، وتأجَّجوا بالغيرة نحو الحياة الصالحة؛ فكيف لا تُحسَب هذه الخدمة لائقةً به كإله (إذ قد امتلأوا به كرأس للجسد، الكنيسة)؟﴾

كما قال أحد الآباء الشيوخ:

﴿ إن كان كلُّ ملء اللاهوت قد حَلَّ في المسيح جسدانيًا، كقول الرسول، فلا نقبل زرع الشياطين الأنجاس عندما يقولون لنا: " أنكم إذا صحتم باسم يسوع، فلستم تدعون الآب والروح القدس". إنهم يفعلون ذلك مَكرًا منهم، لكي يمنعونا من الدعاء بالاسم الحُلو الذي لربِّنا يسوع المسيح، لعلمهم أنه بدون هذا الاسم، لا ولن يوجد خلاص البَتَّة، كقول بطرس الرسول:«لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ» (أع٤: ١٢). ونحن نؤمن إيمانًا كاملًا بأنَّنا إذا دعونا باسم ربِّنا يسوع، إنما ندعو الآب والابن والروح القدس، لأنَّنا لا نقبل البَتَّةَ فَرقًا ولا انقسامًا في اللاهوت، ونؤمن أيضًا أنَّ ربنا يسوع المسيح هو الواسطة التي بها يحصل الناس على القُرْبَى من الله والحديث معه، كقول الرسول بولس: « فِي هَذِهِ الأَيَّامِ كَلَّمَنَا فِي ابنِهِ» (عب١: ٢ حسب النَّصّ)﴾.

كما يقول **القديس مكاريوس الكبير** عن المداومة على ترديد الاسم الحُلو الذي لربنا يسوع المسيح وقوَّته في اقتناء الحياة الأبدية:

﴿إن داومتَ كلَّ حين على طعام الحياة الذي للاسم القدوس، اسم ربنا يسوع المسيح، بغير فتور، فإنه يصير حُلوًا في فمك وحلقك. وبترديدك إيَّاه، تدسم نفسك، وبذلك يمكنك أن تقتني الحياة الأبدية﴾

والواقع أنَّ اسم الرب يسوع هو اسم الخلاص الذي ليس بأحدٍ غيره الخلاص: «لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ» (رو ١٠: ١٣)، «لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالَحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ! » (رو ٥: ١٠). وهكذا اسْتُعْلِنَت محبة الله لنا ونحن بعد خطأة، التي عبَّر عنها يوحنا الرسول قائلًا: «بِهذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ. فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا.» (١يو٤: ٩-١٠). وليس ذلك فقط، بل «انْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ!» (١يو٣: ١). تلك التي عبَّر عنها بولس الرسول قائلًا:« أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ.ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: يَا أَبَا الآبُ إِذًا لَسْتَ بَعْدُ عَبْدًا بَلِ ابْنًا، وَإِنْ كُنْتَ ابْنًا فَوَارِثُ للهِ بِالْمَسِيحِ.» (غلاطية ٤: ٤-٧).

«لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله» (أف ٣: ١٩):

لم يكتفِ الله أن يُخَلِّصنا من خطايانا بموت ابنه الوحيد فداءً لنا، لكي يردَّنا إلى رتبتنا الأولى؛ بل ويُعطينا نعمة التبنِّي. وبما أننا أبناء، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبنا ليشفع فينا لدى الآب. وإن كُنَّا أبناء فنحن ورثة لله بالمسيح. ويؤكِّد بولس الرسول هذا المعنى أيضًا في

رسالته إلى رومية قائلًا: «فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ.» (رو١٧:٨). وما هو ميراثنا هذا الذي صار لنا كأولاد الله؟ يقول عنه بطرس الرسول: «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِمِيرَاثٍ لاَ يَفْنَى وَلاَ يَتَدَنَّسُ وَلاَ يَضْمَحِلُّ، مَحْفُوظٌ فِي السَّمَاوَاتِ لأَجْلِكُمْ، » (١بط١:٣-٤).

أما بولس الرسول فيقول عنه: «شَاكِرِينَ الآبَ الَّذِي أَهَّلَنَا لِشَرِكَةِ مِيرَاثِ الْقِدِّيسِينَ فِي النُّورِ» (كولُسي١:١٢). معبِّرًا عن ذلك أيضًا بقوله: «لأَنَّهُ فِيهِ (في المسيح) سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ» (كولسي ١:١٩). وأوضح ذلك بقوله: «فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا. وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ، الَّذِي هُوَ رَأْسُ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ.» (كولُسي ٢:٩-١٠).

كما يقول أيضًا في رسالته إلى أهل أفسس: «اَلَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضًا فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلأَ الْكُلَّ.» (أف٤:١٠)، «لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ، إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ.» (أف٤:١٢-١٣).

ولكن قبل أن يتوغَّل بولس الرسول إلى هذا العمق، سَكَبَ نفسه سكيبًا وحَنَى رُكبتيه مُتضرِّعًا ومُتوسِّلًا لدى أبي ربِّنا يسوع المسيح، لكي يُعطي كل الذين يسمعونه، أو يقرأون له أن يتأدَّبوا أولًا بالقوّة لروح الله في الإنسان الباطن، « لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ» (أف٣:١٦-١٧). ثمَّ يطلب لأجلهم أن يتأصَّلوا ويتأسَّسوا في المحبة، لأن ذلك لازم «حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلْوُ وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ.» (أف٣:١٩).

إنَّنا بدون أن ننال استحقاق البنوَّة لله الآب في ابنه الوحيد يسوع المسيح ربِّنا، الذي أرسل لنا روحه القدوس حتى يمكننا بواسطته أن ندعو الله «أبانا»؛ ما كان ممكنًا لنا البتَّة أن نرفع أيدينا إلى فوق وندعو الله: «أبانا».

وفي هذا يقول **القديس أثناسيوس الكبير**:

[لسنا نحن أبناء حسب الطبيعة، ولكن الابن الذي فينا (هو ابنٌ بحسب الطبيعة)؛ وكذلك الله ليس أبًا لنا بحسب الطبيعة، ولكنه آبٌ للكلمة الذي فينا، الذي فيه وبه نصرخ: «يا أبَا الآب». وهكذا الذي يرى الآب فيهم ابنه الخاص، فأولئك يدعوهم أبناءً له]. (PG, 273,24-30).

وهذا يؤكِّده **القديس كيرلّس الكبير**، فيقول:

[إنه يهبنا بنعمته ما لم يكن من حقِّنا، فهو يسمح لنا أن ندعو الله أبًا لنا، بصفتنا قد ارتقينا إلى وضع البنين، فمنه هو قد قَبِلْنَا هذا الإحسان مع بقية الامتيازات التي صارت لنا ... أو بالحري هو نفسه قد صار لنا الطريق والباب والوسيلة، التي ننلنا بها نعمةً مجيدة بمثل هذا القَدْر، وذلك بأن اقْتَنَى لنفسه شبهنا. فمع كونه حُرًّا بسبب كونه إلهًا، إلَّا أنه أَخَذَ شكل العبد حتى يمكنه أن يمنحنا الأشياء التي له، ويجعلنا نحن العبيد أغنياء بامتيازاته الخاصة]

(R. Payne Smith, *A Commentary on the Gospel according to St. Luke*, Oxford,1859,p-326)

إِيَّـاكَ مِنْ كَـذِبِ ٱلْكَـذُوبِ وَإِفْكِـهِ
فَـلَـرُبَّـمَا مَـزَجَ الْيَـقِـينَ بِشَـكِّـهِ
وَلَرُبَّـمَا ضَحِـكَ ٱلْكَـذُوبُ تَكَلُّفًـا
وَبَكَـى مِنَ ٱلشَّـيءِ ٱلَّذي لَمْ يُبْكِـهِ
وَلَرُبَّـمَـا صَمَـتَ ٱلْكَـذُوبُ تَخَلُّقًـا
وَشَكَى مِنَ ٱلشَّيءِ ٱلَّذي لَمْ يُشْكِهِ
وَلَرُبَّـمَـا كَـذَبَ ٱمْـرُؤٌ بِكَلَامِـهِ
وَبِصَمْتِـهِ وَبُكَـائِـهِ وَبِضِـحْـكِـهِ

فما أروعه .. وما أبينه .. وما ألطفه تصويرًا ، يفضح حقائق الكذَّابين بكلامهم ، وبكائهم ، وتشنجاتهم ، وحماساتهم ، وخطبهم الجوفاء !! .

أَفْكَهُ: إنَّهُ لَمُمثِّلٌ مِنْ أَفْكَهِ الْمُمثِّلِينَ : مِنْ أَكْثَرِهِمْ فُكَاهَةً ومِزاحًا .

إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ
لاَ أَخَافُ شَرًّا لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي (مز ٢٢:٤)

كان بعض **العارفين** يرعى غنمًا، وحضر في قطيع غنمه الذئاب وهي لا تضرّ غنمه؛ فمرَّ عليه رجلٌ وناداه: متى اصطلح الذئب والغنم. فقال الراعي من حين اصطلح الراعي مع الله تعالى.

العارف: (عند النسّاك والصوفية) شخصٌ عابدٌ منصرفٌ بفكره إلى قدس الجبروت مستديمًا لشروق نور الحقّ في سرِّه.

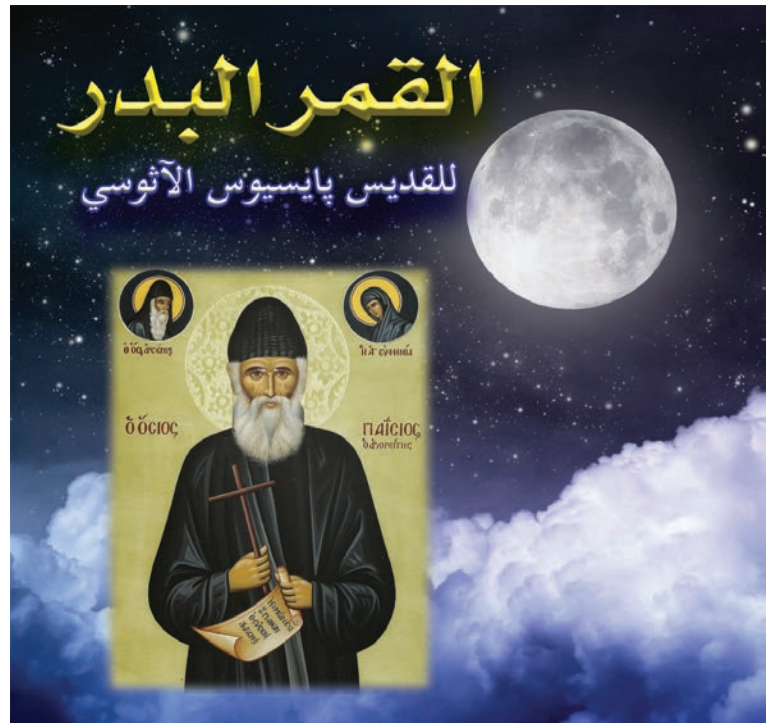

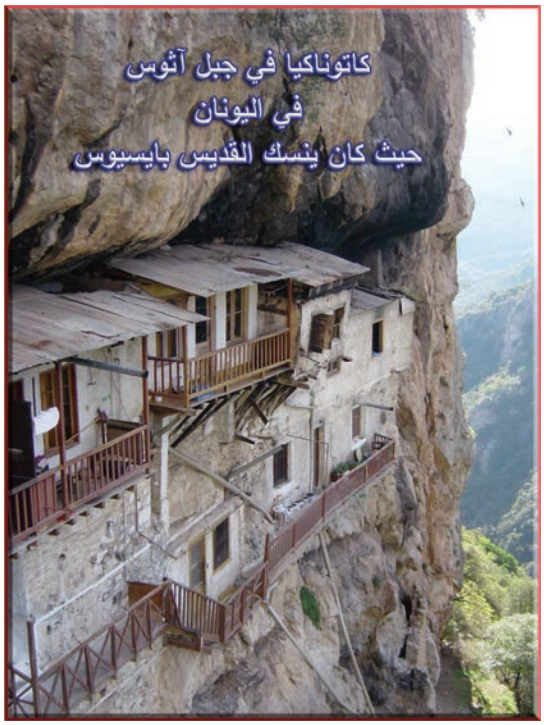

انحدرتُ ذات مساء إلى مَنسك **الشيخ باييسيوس**. وفي تلك الفترة كان قد تغلغل إلى نفسي فكرُ كبرياء، أتى من الصلاة القليلة التي كنت أحاول القيام بها. وإذ كان ذهني متجمعًا بعض الشيء اخذت أرى الأمور أنْقَى من ذي قبل، ولكن لم يكن فكري متواضعًا وقد تَشَامخ. فقلتُ في نفسي إني "**شيءٌ عظيمٌ**".

قمتُ بزيارة الشيخ وأفكار الكبرياء تُراودني، ولكني لم أُطلِع الشيخ على أفكاري تلك. كانت تلك الأفكار بجملتها تزخر بالكبرياء.

ومن دون أن يوجِّه الشيخ لي أيَّة كلمة بهذا الصدد شَرَعَ يقول:

لقد تذكَّرتُ أنا حَدَثًا مُعيَّنًا سأُطلعك عليه:

في إحدى الليالي، عندما كنتُ في **كاتوناكيا (بآثوس)**، وبينما كنت ساهرًا في قلايتي أُصلي، حوالي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، ابتدأتُ أشعُرُ بفرح سماوي، وفي الوقت ذاته ابتدأتُ أرى قلايتي المُظلِمة، والتي كان يَكسِرُ نور المصباح ظُلمتها، تمتلئُ شيئًا فشيئًا من نورٍ فائقِ الجمال، لونه أبيض سماوي.

في البداية كان النور قويًا جدًا، وفهمتُ فيما بعد أنَّ عينيَّ "قد مُنِحتا قوةً" بحيث تستطيعان احتمال هذا النور. لقد كان هذا النور نورًا غير مخلوق. بَقِيتُ هناك في النور ساعاتٍ طوالًا فاقدًا الإحساسَ بالأمور الأرضية، وعِشتُ في عالمٍ روحانيّ آخر مختلف تمامًا عن هذا العالم الجسداني. وبينما أنا في هذه الحال، في ذاك **النور الإلهي غير المخلوق**، تقبَّلتُ خبراتٍ سماويّة متنوِّعة. ومَضَت الساعات من دون أن أشعُرَ بمرورها.

وبعد هذا أخذَ النورُ غيرُ المخلوق بالاختفاء شيئًا فشيئًا، وأنا أخذتُ أعود إلى حالتي السابقة. أحسستُ بالجوع والعطش فأكلتُ بعض الطعام، وشربتُ قليلًا من الماء. تعبتُ فجلستُ قليلًا لأستريح، وشعرتُ بأني مثل البهائم، فطلبتُ رحمة الله لنفسي.

جاءَني هذا التواضع الطبيعي جراء تلك الحالة.

لقد عدتُ من حالة روحانية إلى حالة أُخرى، ولما رأيتُ الفرق بين الحالتين، لم يبقَ لي **إلَّا أن أَلومَ نفسي وأوبِّخها**.

وقد كان يُقيمُ بالقرب من قلايتي أخ آخر. وفي الخارج بدا لي أنَّ الوقت لا يزال ليلًا، وأنَّ هناك بَدرًا في السماء، فخرجتُ وسألتُ الأخ في القلاية المجاورة:

"هيه، يا أخ ماذا يجري؟ هل تأخر النهار عن الطلوع؟ ما الساعة الآن؟

فسألني الأخ قائلًا: يا أبانا باييسيوس ماذا تقول؟ لم أفهم!

حينئذ فقط فهمتُ ما قد جرى. كانت الساعة حوالي العاشرة صباحًا، و "**القمرُ البدرُ**" الذي رأيته كان **الشمس**. ولكن النور غير المخلوق كان قويًا جدًا، فلكي تتحمله عيناي نالتا من الله نعمةً خاصةً، بحيث أنَّ نور النهار والشمس بدا لي ظلمةً حالكةً.

هذا ما أخبرني به الشيخ باييسيوس وقال لي بعد ذلك أن أذهب حينها إلى قلايتي إذ قد وافاه بعض الزوار.

فمشيتُ في طريقي **وقد أحسَستُ بحالتي البهيميَّة**.

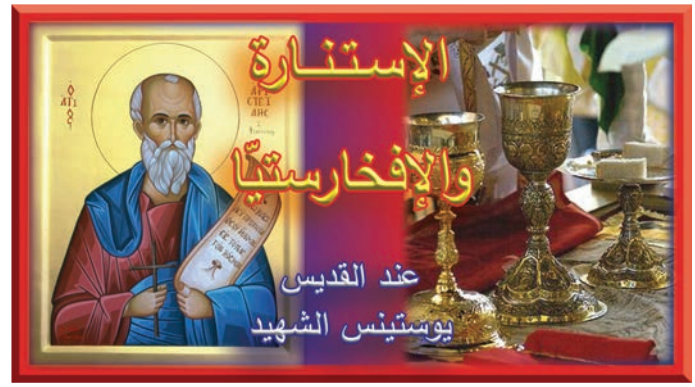

وسنشرح كيف كرَّسنا أنفسنا لله بعد أن تجدَّدنا بالمسيح، لئلا نُعتبر مقصرين في عرضنا لهذا الموضوع إن لم نفعل، فإن كل الذين يصدقون ويؤمنون أن ما نقوله، وَنُعلِّم به هو الحق ويتعهدون بأن يحيوا وفقًا لهذا التعليم، يتم تعليمهم أن يسألوا الله عن طريق الصلاة والصوم، من أجل مغفرة خطاياهم السابقة، ونحن نصلي ونصوم معهم. ثم نقودهم إلى مكان به مياه فيولدون من جديد بنفس الطريقة التي بها قد وُلِدْنا ثانيةً، باسم الله أبي وسيِّد كل أحد ومخلصنا يسوع المسيح والروح القدس، ثم ينالون الاغتسال بالماء لأن المسيح قد قال: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ»(يو٣:٣). ومن الواضح للجميع أنه لا يمكن لأحد أن يدخل بطن أمه ويُولد ثانية. وقد شرح إشعيا النبي كيف أن الذين أخطأوا ثم تابوا سوف يتحررون من خطاياهم، وها هي كلماته: «اغْتَسِلُوا. تَنَقَّوْا. اعْزِلُوا شَرَّ أَفْعَالِكُمْ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيَّ. كُفُّوا عَنْ فِعْلِ الشَّرِّ. تَعَلَّمُوا فَعْلَ الْخَيْرِ... هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ يَقُولُ الرَّبُّ: إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ. » وهذا هو السبب الذي علمنا إياه الرسل لممارسة المعمودية بهذه الطريقة.

فنحن لم نُدرك ميلادنا الأول على الإطلاق، بل وُلِدنا اضطرارًا من أصل سائل من خلال اتحاد أبوينا، ثم تمرسنا في عادات **خاطئة شريرة**. ولكي لا نظل أبناء للاضطرار والجهل، بل نصير أبناء الاختيار الحرّ والمعرفة، ولكي ننال مغفرة خطايانا السابقة، ففي الماء يتم الدعاء باسم الله سيِّد وأبي الكل على الشخص الذي يريد أن يُولَد من جديد، وقد تاب عن خطاياه، وهذه التسمية وحدها هي التي ينطق بها من يقود المُعَمَّد إلى جرن المعمودية، لأنه ليس لأحد أن يطلق أسماء على الله غير الموصوف، وإذا تجرأ أحد على ذلك فهو يُعتبر مختل العقل.

وهذا الاغتسال يُسمَّى آستنارة لأن الذين ينالون هذا السرّ تستنير عقولهم، والذي ينال الاستنارة أيضًا يعتمد باسم يسوع المسيح الذي صُلِب في عهد بيلاطس البنطي، وباسم الروح القدس الذي سبق وبشَّر من خلال الأنبياء عن كل الأمور الخاصة بيسوع.

... بعد أن يتم تعميد ذلك الذي آمن بإرادته واتفق مع تعاليمنا، نرافقه إلى حيث يجتمع المدعوون إخوة، لكي نرفع معًا الصلوات القلبية من أجل أنفسنا، ومن أجل الشخص الذي استنار، ولأجل كل الناس الآخرين أينما كانوا، لكي نصير – نحن الذين عرفنا الحق – مستحقين بسبب أعمالنا الصالحة أن نُعتبَر مواطنين صالحين، يحفظون القوانين حتى ننال الخلاص الأبدي.

وفي نهاية الصلاة نُقبِّل بعضنا بعضًا، ثم يُقدَّم الخبز والكأس التي بها خمر ممزوج بالماء إلى الذي يترأس الإخوة، فيأخذهما ثم يقدم السبح والتمجيد لأبي الكل، باسم الابن والروح القدس ويتلو صلوات شكر طويلة، لأننا حُسبنا مستحقين أن ننال منه هذه البركات. وفي نهاية هذه الصلوات والشكر، يوافق كل الحاضرين بقولهم «آمين»، وهي كلمة عبرية تعني «ليكن هكذا». وعندما ينتهي الرئيس من إقامة الإفخارستيا، يدعو المستعدّين للاشتراك في خبز الإفخارستيا وفي الخمر والماء بواسطة "الشمامسة" الذين سيقدِّمونه للغائبين .

ونحن ندعو هذا الطعام إفخارستيا، ولا يستطيع أحد أن يشترك فيه إلَّا مَنْ آمَنَ أَنَّ تعاليمنا هي حق، وقد تَطَهَّرَ بالمعمودية لمغفرة الخطايا والولادة الثانية، ويعيش بحسب المبادئ التي وضعها لنا المسيح. ونحن لا نشترك فيهما كخبز وشراب عاديين، بل كما أنه بتجسُّد كلمة الله، مخلصنا يسوع المسيح، متخذًا لنفسه جسدًا ودمًا لأجل خلاصنا، فإن هذا الطعام الذي تقدَّس بواسطة كلمات الصلاة التي قالها المسيح، يغذي جَسَدَنَا ودَمَنَا، إذ هو **جسد ودم يسوع المتجسد** كما تَعَلَّمْنَا. وقد سلَّمَنا الرُّسلُ في مذكراتهم التي تدعى الأناجيل ما قد أمرهم يسوع أن يصنعوا، أنه أخذ خبزًا وبعدما شكر قال: «اصنعوا هذا لذكري، هذا هو جسدي»، وأيضًا أخذ الكأس وشكر وقال: «هذا هو دمي» وقد أعطاهما لهم فقط.وهكذا نحن دائمًا نُذكِّر بعضنا بعضًا بهذه الأمور.

ويسارع الأغنياء بيننا لمساعدة الفقراء، ونبقى معًا دائمًا. كما أننا نبارك خالق الكل على كل الخيرات التي ننعَم بها في ابنه يسوع المسيح والروح القدس. ولنا في اليوم الذي يُدعى يوم الشمس اجتماع لكل سكان المدن والضواحي، وفي هذا الاجتماع تُقرأ مذكرات الرسل أو كتابات الأنبياء حسبما يسمح الوقت، وبعد الانتهاء من القراءات يتقدم الرئيس ويعظ الحاضرين، ويشجعهم على ممارسة الفضائل. ثم نقف جميعًا لنرفع الصلوات، وكما قلنا من قبل بعد أن ننتهي من الصلوات، يتم تقديم الخبز والخمر والماء، ثم يصلي الرئيس ويرفع الصلوات والشكر على قدر استطاعته، أما الشعب فيرد قائلًا «آمين». ثم توزع الإفخارستيا على الحاضرين، ويُرسَل منها للغائبين عن طريق الشمامسة.

ويُقدِّم الأغنياء ما يودون التبرع به، ثم تُجمَع التبرعات وتترك في عُهْدَةِ الرئيس. **وبهذه التبرعات يساعد الأرامل والأيتام بسبب مرض أو خلافه، والمسجونين والمتغربين عندنا، وباختصار هو يهتم بجميع المحتاجين**. ويوم الأحد هو بالحقيقة اليوم الذي نَعْقِد فيه اجتماعنا المشترك، لأنه اليوم الأول الذي فيه حوَّل الله الظلمة والمادة وخلق العالم، وفيه أيضًا **قام مخلصنا يسوع المسيح من الموت**، لأنهم صلبوه في اليوم الذي يسبق السبت، وفي اليوم الذي يليه، أي الأحد، ظهر لتلاميذه ورسله وعلمهم الأشياء التي نقلناها لكم للتأمل فيها.

إِعْلَمْ أَنَّ ٱلدُّنْيَا مَنْزِلَةٌ وَلَيْسَت بِدَارِ قَرَارٍ وَٱلْإِنْسَانَ فِيهَا عَلَى صُورَةِ مُسَافِرٍ. فَأَوَّلُ مَنَازِلِهِ بَطْنُ أُمِّهِ وَآخِرُ مَنَازِلِهِ لَحْدُ قَبْرِهِ. وَإِنَّمَا وَطَنُهُ وَقَرَارُهُ وَمَكْثُهُ وَٱسْتِقْرَارُهُ بَعْدَهَا. فَكُلُّ سَنَةٍ تَنْقَضِي مِنْ عُمْرِ ٱلْإِنْسَانِ كَٱلْمَرْحَلَةِ. وَكُلُّ شَهْرٍ يَنْقَضِي مِنْهُ كَٱسْتِرَاحَةِ ٱلْمُسَافِرِ فِي سَفَرِهِ. وَكُلُّ أُسْبُوعٍ فَكَقَرْيَةٍ تَلْقَاهُ فِي طَرِيقِهِ. وَكُلُّ يَوْمٍ فَكَفَرْسَخٍ يَقْطَعُهُ. وَكُلُّ نَفَسٍ فَكَخُطْوَةٍ يَخْطُوهَا. وَبِقَدْرِ كُلِّ نَفَسٍ يَتَنَفَّسُهُ يَقْرُبُ مِنَ ٱلْآخِرَةِ. وَهٰذِهِ ٱلدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَمَنْ عَبَرَ ٱلْقَنْطَرَةَ وَٱشْتَغَلَ بِعِمَارَتِهَا فَنِيَ فِيهَا زَمَانُهُ. وَأُنْسِيَ ٱلْمَنْزِلَةَ ٱلَّتِي إِلَيْهَا مَصِيرُهُ وَهِيَ مَكَانُهُ. وَكَانَ جَاهِلًا غَيْرَ عَاقِلٍ. وَإِنَّمَا ٱلْعَاقِلُ ٱلَّذِي لَا يَشْتَغِلُ فِي دُنْيَاهُ إِلَّا بِإِعْدَادِ زَادِهِ لِمَعَادِهِ، وَيَكْتَفِي مِنْهَا بِقَدْرِ حَاجَتِهِ. وَمَهْمَا جَمَعَهُ مِنْهَا فَوْقَ كِفَايَتِهِ كَانَ سُمًّا قَاتِلًا. وَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ جَمِيعُ خَزَائِنِهِ وَسَائِرُ ذَخَائِرِهِ فَانِيَةً رَمَادًا وَتُرَابًا لَا فِضَّةً وَذَهَبًا. وَلَوْ جَمَعَ مَهْمَا جَمَعَ فَإِنَّمَا يُصِيبُهُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَلْبَسُهُ لَا سِوَاهُ. وَجَمِيعُ مَا يُخَلِّفُهُ يَكُونُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً وَيَصْعُبُ عَلَيْهِ نَزْعُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ. فَحَلَالُهَا حِسَابٌ. وَحَرَامُهَا عَذَابٌ. إِنْ كَانَ قَدْ جَمَعَ ٱلْمَالَ مِنْ حَلَالٍ طُلِبَ مِنْهُ ٱلْحِسَابُ. وَإِنْ كَانَ قَدْ جَمَعَهُ مِنْ حَرَامٍ أَوْجَبَ عَلَيْهِ ٱلْعِقَابَ. وَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ حَسْرَةِ حُلُولِ ٱلْعَذَابِ بِهِ عِنْدَ آخِرَتِهِ. وَٱعْلَمْ أَنَّ رَاحَةَ ٱلدُّنْيَا أَيَّامٌ قَلَائِلُ وَأَكْثَرُهَا مُنَغَّصٌ بِٱلتَّعَبِ. وَمَشُوبٌ بِٱلنَّصَبِ. وَبِسَبَبِهَا تَفُوتُ رَاحَةُ ٱلدُّنْيَا ٱلْآخِرَةِ ٱلَّتِي هِيَ ٱلدَّائِمَةُ ٱلْبَاقِيَةُ وَٱلْمُلْكُ ٱلَّذِي لَا يَفْنَى وَلَا نِهَايَةَ لَهُ. فَسَهْلٌ عَلَى ٱلْعَاقِلِ أَنْ يَصْبِرَ فِي هٰذِهِ ٱلْأَيَّامِ ٱلْقَلَائِلِ لِيَنَالَ رَاحَةً دَائِمَةً بِلَا ٱنْقِضَاءٍ. وَٱلدُّنْيَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ فِي جَنْبِ ٱلْآخِرَةِ، وَلَا نِسْبَةَ بَيْنَهُمَا لِأَنَّ ٱلْآخِرَةَ لَا نِهَايَةَ لَهَا وَلَا يُدْرِكُ ٱلْوَهْمُ طُولَهَا.

ثُمَّ قَالَ ٱلْحَكِيمُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ:

تُرِيدُ أَنْ أُرِيَكَ ٱلدُّنْيَا. فَقَالَ: نَعَمْ. فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَٱنْطَلَقَ حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى مَزْبَلَةٍ فِيهَا رُؤُوسُ ٱلْآدَمِيِّينَ مُلْقَاةٌ. وَبَقَايَا عِظَامٍ نَخِرَةٍ قَدْ تَمَزَّقَتْ وَتَلَوَّثَتْ بِنَجَاسَاتٍ. فَقَالَ: هٰذِهِ رُؤُوسُ ٱلنَّاسِ ٱلَّتِي تَرَاهَا كَانَتْ مِثْلَ رُؤُوسِكُم كَانَتْ مَمْلُؤَةً مِنَ ٱلْحِرْصِ وَٱلِاجْتِهَادِ عَلَى جَمْعِ ٱلدُّنْيَا. وَكَانُوا يَرْجُونَ مِنْ طُولِ ٱلْأَعْمَارِ مَا تَرْجُونَ. وَكَانُوا يَجِدُّونَ فِي جَمْعِ ٱلْمَالِ وَعِمَارَةِ ٱلدُّنْيَا كَمَا تَجِدُّونَ. فَٱلْيَوْمَ تَعَرَّتْ عِظَامُهُمْ وَتَلَاشَتْ أَجْسَامُهُمْ كَمَا تَرَى. وَهٰذِهِ ٱلْخِرَقُ كَانَتْ أَثْوَابَهُمُ ٱلَّتِي كَانُوا يَتَزَيَّنُونَ بِهَا عِنْدَ ٱلتَّجَمُّلِ وَقْتَ ٱلرُّعُونَةِ وَٱلتَّجَمُّلِ وَٱلتَّزَيُّنِ. فَٱلْيَوْمَ قَدْ أَلْقَتْهَا ٱلرِّيحُ فِي ٱلنَّجَاسَاتِ. وَهٰذِهِ عِظَامُ دَوَابِّهِمِ ٱلَّتِي كَانُوا يَطُوفُونَ أَقْطَارَ ٱلْأَرْضِ عَلَى ظُهُورِهَا. وَهٰذِهِ ٱلنَّجَاسَاتُ كَانَتْ أَطْعِمَتَهُمُ ٱللَّذِيذَةَ ٱلَّتِي كَانُوا يَحْتَالُونَ فِي تَحْصِيلِهَا لَا يَقْرَبُهَا أَحَدٌ مِنْ نَتَنِهَا. فَهٰذِهِ جُمْلَةُ أَحْوَالِ ٱلدُّنْيَا كَمَا تُشَاهِدُ وَتَرَى. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْكِيَ عَلَى ٱلدُّنْيَا فَلْيَبْكِ فَإِنَّهَا مَوْضِعُ ٱلْبُكَاءِ. **وهذا ما نؤكّده في الكنيسة إذ نقول: تذكّرتُ النبيّ الهاتف: أنا أرضٌ ورماد، فعدتُ أيضًا متفرّسًا في القبور، ونظرتُ العظام المجرّدة فقلتُ يا ليتَ شعري أين هو الملك أو الجندي؟ وأين هو الغنيّ أو الفقير؟ وأين هو الصدّيقُ أو الخاطىء؟ لكن أرح يا ربّ عبدك مع الصدّيقين.**

يَا طَالِبَ ٱلدُّنْيَا ٱلدَّنِيَّةِ إِنَّهَا
شَرَكُ ٱلرَّدَى وَقَرَارَةُ ٱلْأَكْدَارِ
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا
أَبْكَتْ غَدًا تُبًّا لَهَا مِنْ دَارِ
غَارَاتُهَا لَا تَنْقَضِي وَأَسِيرُهَا
لَا يُفْتَدَى بِجَلَائِلِ ٱلْأَخْطَارِ
فَٱقْطَعْ عَلَائِقَ حُبِّهَا وَطِلَابِهَا
تَلْقَ ٱلْهُدَى وَرَفَاهَةَ ٱلْأَسْرَارِ

كُتِبَتْ بِمُنَاسَبَةِ عِيدِ ٱلْقِيَامَةِ (١)

في ٧ برمودة سنة ٤٨ للشهداء - ٢ إبريل ٣٣٢م

أُرسل إليكم يا أحبائي رسالتي هذه مُتأخرًا عن الوقت المعتاد، لكني أثق بأنكم سوف تسامحونني على تأخيري، وذلك لطول رحلتي، ولأنني أُصِبْتُ بمرضٍ. فقد أعاقني هذان السببان، مع حدوث عواصف شديدة غير عادية، ولذلك أرجأت الكتابة اليكم. لكن رغم طول رحلتي ومرضي الشديد، فإنني لم أنس أن أنبئكم بعيد القيامة، وإتمامًا لواجبي أخبركم الآن بموعد العيد.

لنرنم: «الفَرَسُ وراكِبُهُ طرحهما فى البحر».

ومع أنَّ تاريخ هذه الرسالة جاء متأخرًا عن التاريخ المعتاد لهذا الإعلان(٢)، لكنها لا تزال تُعتبر في وقتها، لأن الكنيسة قد بخت أعداءنا، وصاروا في خزي لأنهم اضطهدونا بلا سبب. فلنرنم الآن ترنيمة العيد مردّدين تسبحةَ الانتصار على فرعون قائلين: « نرنم للرب، لأنه يجب أن يُسبح ممجدًا، الفرس وراكبه طرحهما فى البحر»(٣).

لنُعيِّد بالغذاء الروحي:

يحسن بنا، يا أحبائي أن نَعْبُر من عيد إلى عيد، فنحتفل بعيد الفصح في اجتماعات مكررة، وأسهار مقدسة ترتفع بعقولنا، تدعونا إلى السهر والتأمل في أعمال الله الصالحة. ليتنا لا ندع هذه الأيام تمر علينا، كالذين يحزنون، **بل إذ نتمتع بالطعام الروحي نخمد شهواتنا الجسدية(٤)، لأنه بهذه الوسائط نستطيع أن نغلب أعداءنا**، كالمباركة يهوديت(٥)، التي دربت نفسها أولًا على الأصوام والصلوات، فغلبت الأعداء وقتلت **أليفانا**. (بالنسبة لقتل أليفانا- أنظر سفر يهوديت١٣ : ٨)

وعندما أوشك الهلاك أن يعصف بكل جنس الطوباوية أستير، وكادت أمة إسرائيل أن تُباد، فإن ثورة الطاغية لم تنهزم إلا بالصَّوم والصَّلاة إلى الله، وهكذا حَوَّلَت أستير هلاك شعبها إلى طمأنينة(٦). وكما اُعتُبِرت تلك الأيام أعيادًا لإسرائيل، هكذا كانت الأعياد قديمًا تُرَتَّب عند قتل عدو، أو إحباط مؤامرة ضد الشعب، ونجاة إسرائيل.

لذلك رتب الطوباوي موسى قديمًا عيد الفصح العظيم، ورتب احتفالنا به، لأن فرعون قد قُتل، والشعب قد تحرَّر من العبودية. ففي تلك الأوقات، بصفة خاصة، رتَّب الأعياد المؤقتة والعطلات في اليهودية، عندما قُتل الذين طغوا على الشعب.

لنعترف بالنعمة ممتلئين فرحًا:

والآن يا أحبائي **وقد ذبح إبليس، ذلك الطاغية المعتدي على العالم كله، فنحن لا نأتي إلى عيد وقتي، بل إلى عيد أبدي سمائي.** معلنين إياه لا خلال ظلال، بل نأتي إليه يقينًا. لأن أولئك بعدما شبعوا من لحم خروف أخرس، تمموا العيد. وإذ مسحوا قوائم أبوابهم بالدم، التمسوا مساعدة الله ضد المُهلك(٧).

أما نحن الآن فإذ نأكل « كلمة» الآب، ونختم قوائم أبواب قلوبنا بدم العهد الجديد(٨)، فإننا نعترف بالنعمة الموهوبة لنا من المخلص، الذي قال: «هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ»(٩). لأن الموت لا يسود فيما بعد، بل تحلّ الحياة محل الموت منذ ذلك الوقت، لأن ربَّنا قد قال: «أَنَا هُوَ الحَيَاة»(١٠). ولذلك امتلأ كل شيء بالفرح والبهجة، كما هو مكتوب: « اَلرَّبُّ قَدْ مَلَكَ، فَلْتَبْتَهِجِ الأَرْضُ»(١١) لأنه عندما ملك الموت « عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ، هُنَاكَ جَلَسْنَا. بَكَيْنَا أَيْضًا عِنْدَمَا تَذَكَّرْنَا صِهْيَوْنَ»(١٢)، ونحن لأننا شعرنا بمرارة الأسر. أما الآن، وقد أُبيد الموت ومملكة الشيطان، فقد امتلأ كل شيء تماما بالفرح والسعادة. ولم يعد الله يُعرف فى اليهودية وحدها، بل فى كل الأرض: « فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُم. وإِلَى أَقْصَى المَسْكُونَةِ بَلَغَتْ أَقْوالُهُم.»(١٣).

أما الأمور التالية فهي واضحة يا أحبائي. وهي ألَّا نقترب مِن عيدٍ كهذا بثياب رَثَّة، **بل لتلتحف عقولنا بثياب نقية. فنحن نحتاج أن نلبس ربنا يسوع في هذا العيد، لكي نستطيع أن نحتفل بالعيد معه. ونحن نلبسه الآن عندما نحب الفضيلة ونبغض الشر، وعندما ندرب أنفسنا على الاعتدال ونكبح شهواتنا، عندما نحب البِرّ أكثر من الإثم، عندما نكرم القناعة ونكون ناضجين في الفكر. حينما لا**

ننسى الفقير، بل نفتح أبوابنا لجميع البشر، عندما نعين الضعفاء، ونبغض الكبرياء.

بين الخروف الرمزي، والمسيح فصحنا:

وإذ جاهد إسرائيل قديمًا بهذه الأمور في طريق النصرة، كانوا يقتربون إلى العيد، **لأن هذه الأمور كانت حينئذ في ظلال ورموز. أما نحن أيها الأحباء، فقد تحقق لنا ما كان ظلالًا، وَتَمَّ ما كان رمزًا.** لذا يجب ألَّا نعتبر العيد رمزيًا، **وهكذا لا نذهب إلى أورشليم التي هي هنا على الأرض لنذبح خروف الفصح**، كعادة اليهود التي ٱنقضى وقتها، لئلَّا نحسب أننا نسلك فيما لا يناسب وقتنا(١٤)، **إذ فات وقت (ذلك الخروف) بل ينبغي أن نتعدى حدود الرمز حسب وصية الرُّسُلِ، ونرنم الترنيمة الجديدة مسبحين الله.**

وإذ أدرك التلاميذ هذا، واجتمعوا مع الحق(١٥)، اقتربوا من مخلصنا وقالوا له: «أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نُعِدَّ لَكَ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ؟»(١٦)، ولأن هذه الأمور التي تتعلق بأورشليم الأرضية لم تعد تُمارس بعد، ولم يَعُدْ يُحتَفَل بالعيد هناك في أورشليم فقط، بل في أي مكان يريده الله.

والآن، لقد أراد (ربّ الجنود) أن تتمم هذه الأمور في كل مكان، لكي «في كل مكان يُقَرَّب لاسمه بَخُورٌ وتقدمة (ذبيحة) طاهرة»(١٧). ومع أن عيد الفصح لم يكن يُحفظ في أي مكان آخر إلَّا في أورشليم. حسبما حدث تاريخيًا. لكن عندما أُكْمِلَتِ ٱلأُمور ٱلمتصلة بذلك الزمان، وزال ما كان يتعلق بالظلال، وأوشكت الكرازة بالإنجيل على الانتشار في كل مكان، وأصبح التلاميذ يحتفلون بالعيد في كل الأرجاء، لذا سألوا المخلص: « أين تريد أن نعد لك الفصح»؟.

ولما كان المخلص يُحَوِّل الأمور الرمزية إلى روحية، فقد وعد (التلاميذ) بألَّا يعودوا يأكلون لحم خروف بعد، بل جسده قائلًا:« خذوا كلوا هذا هو جسدى، وأشربوا... هذا هو دمى»(١٨). ونحن إذ نتغذى بهذه الأشياء، فإننا نحتفل أيضًا بحق بعيد الفصح كما يليق.

لِنُعَيِّد عند إشراق اليوم الأول المقدس:

نحن نبدأ (أسبوع الفصح) في اليوم الأول من شهر برمودة (٢٧ مارس– شرقي)، ونستريح فى اليوم السادس من نفس الشهر (أول أبريل–شرقي)، في عشية اليوم الثامن. **وإذ يُشرق علينا اليوم الأول المقدس من الأسبوع، في السابع من نفس الشهر (برمودة)، فإننا نعيد محتفلين بأيام الخماسين المقدسة بعد ذلك، معلنين فيها الدهر الآتي(١٩). لكي نكون من الآن فصاعدًا مع المسيح إلى الأبد،** مسبحين الله فوق الكل في المسيح يسوع، وبه، قائلين للربّ مع كل القديسين، آمين.

قَبِّلُوا بعضكم بعضًا بقبلة مقدسة. يهديكم السلام كل الإخوة الذين معي. نبعث إليكم بهذه الرسالة من البلاط، بيد أحد الجنود المرافقين، الذي سلمها إليه ابلافيوس(٢٠)، والى مقاطعة بروتوريوم، الذي يخاف الله بالحق. لأنني الآن في البلاط، إذ دعاني **الإمبراطور قسطنطين** لكي أراه. لكن الملييتيين الذين كانوا هناك، حاولوا أن يقتلونا أمام الإمبراطور، لحسدهم وغيرتهم. لكنهم صاروا في خزي، وطُردوا كمفترين، إذ ٱتهموا بأمور كثيرة. أولئك الذين طردوهم: **كالينيكوس، إيسيون، ويوديمون، وجيلوس هيراكامون(٢١)**؛ الذي غَيَّر ٱسمه إلى **أولوجيوس** بسبب العار الذى لحق باسمه.

(هنا تنتهى الرسالة الفصحية الرابعة للقديس أثناسيوس)

الأمبراطور قسطنطين يقدّم مدينة القسطنطينيّة هديّة لوالدة الإله والطفل يسوع المسيح، والامبراطور يوستينيانوس يقدّم كنيسة آجيا صوفيا. أيقونة فريسكو في كنيسة آجيا صوفيا في القسطنطينة، آسيا الصغرى

(١) أرسل القديس أثناسيوس هذه الرسالة من البلاط الإمبراطورى بواسطة أحد الجنود الذين كانوا ملازمين للقديس أثناسيوس بدار الإمبراطور.

(٢) انظر الفقرة الخامسة في هذه الرسالة، إذ تأخر إعلان القديس أثناسيوس المعتاد عن بدء الصوم الأربعيني.

(٣) (خر١٥: ١).

(٤) *St. Cyril, Hom. Pasch. XX.*

(٥) (يهوديت١٣: ٨). (٦) (أستير٤: ١٦).

(٧) *St. Cyril. Hom. Pasch.24. P.223. Ed. Paris , 1638.*

(٨) (مت ٢٦ : ٢٨).

(٩) (لو١٠ : ١٩).

(١٠) (يو١٤ : ٦).

(١١) (مز٩٦ : ١).

(١٢) (مز١٣٦: ١).

(١٣) (مز٧٥ : ١، ١٨ : ٤).

(١٤) انظر بداية القطعة الأولى من الرسالة الفصحية الأولى.(مجلة نور المسيح فصح ٢٠١٣).

(١٥) هنا إشارة إلى المسيح الذى هو الحقّ (يو١٤ : ٦).

(١٦) (مت٢٦ : ١٧). (١٧) (ملا١: ١١).

(١٨) (مت٢٦: ٢٦-٢٨).

(١٩) *CF. Bingham , 20.ch.6 ; St. Cassian. Coll. 21. II ; St. Cyrip uses the same comparison towards the end of his 26th paschap discourse.*

(٢٠) كان أبلافيوس رئيسًا للإقليم الشرقى، ووزيرًا فى الإمبراطورية، وكان محبوبًا جدًا لدى قسطنطين الكبير وقد قُتِلَ بعد موت قسطنطين. انظر- *Smith's Diction-ary of Gr. and Rom Biography Zozimus 2 :* 40

(٢١) هذا الاسم يعني باليونانية الضاحك.

مقدمة: كان **القديس غريغوريوس اللآهوتي** خطيبًا ذا أسلوب متميز مشهور. وتحتل عظاته وخطبه القِسم الأكبر من تراثه الأدبي اللاهوتي القليل نسبيًا. وقد حُفظت ٥٥ خُطْبَةً من خُطَبِهِ، وقد سَجَّل معظمها كتابةً في سني وجوده في القسطنطينية. الخطبة الآتي عرضها هي الخطبة الرابعة والأربعون، وهي بعنوان **"الأحد الجديد"**. أُلقيت هذه الخطبة القصيرة والجميلة يوم الأحد التالي لعيد القيامة، والذي بالأحد الجديد، الذي كان يتم الاحتفال به كتذكار سنوي **للخلاص والتجديد**. وكان هذا اليوم يوافق أيضًا مهرجانًا للربيع في قيصرية كبادوكية، واحتفالًا شعبيًا بالشهيد ماماس(١)، كما يظهر في النص. والجدير بالذكر أن عيد القيامة في الكنيسة الأولى كان يُحْتَفَلَ به لمدة ثمانية أيام، إذ كانت تتم معمودية الموعوظين ليلة عيد القيامة **- بعد تلقيهم التعاليم المسيحية في الأربعين المقدسة -** ثم يحضرون الاحتفال حاملين الشموع، ثم يتقدمون للتناول من الأسرار الإلهية، وفي أثناء الأيام الاحتفالية التالية، كانوا يتلقون التعاليم الخاصة بأسرار الانضمام لجسد المسيح.

في هذه الخطبة، خطبة عيد التجديد السنوي، ينسج القديس غريغوريوس بمهارة عدة موضوعات معًا: تجديد الله للبشرية من خلال موت وقيامة المسيح، تجديد الخليقة بمجيء فصل الربيع، التجديد الروحي والتكريس القلبي للمؤمنين، وعيد تذكار الشهيد ماماس. ويرسم القديس صورة موجزة عن كيفية حياة المسيحي، المُجَدَّد بواسطة المسيح القائم(٢). هذا النص هو مثال جيد على قدرة **القديس غريغوريوس اللاهوتي** المُدْهِشَةِ لتحويل احتفال طقسي إلى مناسبة للتأمل في موضوعات عميقة كالخلق والخلاص، جاذبًا سامعيه بتعليمه وفصاحته وشاعريته وتذوقه للجمال(٣).

(١) القديس ماماس استشهد على اسم المسيح في القرن الثالث في أقليم كبادوكية، في عهد الامبراطور أوريليان (٢٧٠-٢٧٥م).

(٢) القديس نيقيطس أسقف هرقليا *Nicetas of Heraclea* (١٠٥٠- ١١١٧)، هو أكثر الأباء الذين درسوا وصنفوا أعمال القديس غريغوريوس اللاهوتي في القرون الوسطى.

(٣) لويس دو تلمونت (١٦٣٧- ١٦٩٨) *Louis-Sébastien Le Nain de Tillemont*، باحث فرنسي في علم الآباء.

١- إنه تقليد قديم وممارسة جليلة أن نُكرِّم أعياد التجديد(٤)، أو بالأحرى نُكرِّم التقدم في جِدَّة الحياة من خلال احتفالات التجديد، وأن نفعل ذلك ليس مرة واحدة بل مرات عديدة، إذ أن كل دورة سنوية تُحضر نفس اليوم إلى الأمام مرة ثانية. نحن نفعل ذلك، حتى لا تضمحل الأمور الرفيعة بمرور الوقت، أو يَخفُت تذكارها وتتبدَّد إلى هاوية النسيان.

نقرأ في سفر إشعيا: «اُنْصُتِي إِلَيَّ أَيَّتُهَا الْجَزَائِرُ وَلْتُجَدِّدِ الْقَبَائِلُ قُوَّةً» (إش ٤١: ١) - أيًّا كان تفسيرنا لكلمة «الجزائر»- بحسب رأيي، أعتقد أن الجزائر تشير: **إلى الكنائس، التي تم تشكيلها في الوقت الحاضر من شعوب الأمم، والناشئة من بحر عدم الإيمان المُرّ، والتي بإيمانها الراسخ صارت مستقرة في الله** (تستخدم الفقرة السابقة من العظة في طقس تدشين الكنائس عند الروم الأرثوذكس). ويتكلم نبي آخر عن «أسوار نحاس» (إر١: ١٨) يتم تجديدها. أعتقد أن هذه الأسوار تشير إلى النَّفس القوية، المُشرقة كالذهب، والمشيَّدة بشكل جيد لحياة التقوى.

ويأمرنا المزمور أن نُنشِد للرب «تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً» (مز١٤٩: ١) ، سواء إن كُنَّا من أولئك الذين سَبَتهُم **الخطيئة** إلى **بابل أرض الارتباطات المنحرفة**، وتم إعادتهم الآن مُنقَذين إلى أورشليم - وبينما كنا لا نستطيع أن نُنْشِد الترانيم المقدسة هناك، في أرض غريبة (مز١٣٦: ٤)، بدأنا هنا «تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً» وطريقة جديدة للحياة - أو من أولئك الذين استمروا في الحياة الفاضلة ويتقدمون فيها، وقد حققوا بالفعل بعض جوانبها، ولا زالوا يحققون البعض الآخر، بنعمة وتجديد الروح القدس.

٢- خيمة الشهادة تم تكريسها في احتفال فاخر مهيب - أعلن الله التصميم، بصلئيل حقَّقها، وموسى نصَّبها (خر٣١: ١-١١، ٣٥: ٣٠ - ٣٦: ٧، ٤٠: ١٧-٣٣). كذلك أيضًا تم الاحتفال بتنصيب داود على العرش ليس فقط مرة واحدة، بل أولًا حينما مُسح (١صم ١٦:١٣)، ومرة ثانية لاحقًا عندما نادوا به ملكًا (٢ صم ٥: ١-٥).

وكان يُحتفل بـ «عِيدُ التَّجْدِيدِ فِي أُورُشَلِيمَ، وَكَانَ شِتَاءٌ» (يو٢٢: ١٠) - **شتاء الخيانة** - وكان يسوع حاضرًا، الذي هو إله وهيكل، إله سرمدي، وهيكل مُشكَّل حديثًا، لكي يُنقَض في يوم واحد، ويقوم ثانية في ثلاثة أيام (يو٢: ١٩، مر ١٤: ٥٨) ، ويبقى إلى أبد الدهور، حتى يُمكِنَني أن أخلص، وأتجدد من السقوط القديم، وأصير خليقة جديدة، مُشكَّلة ثانيةً، بواسطة المحبة الشاملة للبشرية.

توسَّل داود المبارك أن يُخلَق فيه «قلبًا جديدًا»، وأن يتجدَّد في أحشائه «روحًا مستقيمًا»(مز٥٠: ١٠)، ليس لأنه كان ينقصه ذلك - فمن يكون لديه إذًا، إن لم يَكُن هذا داود العظيم؟ - بل لأنه كان يَعْتَبِرْ ما يَتَحسَّن ويتجدَّد بشكل مستمر كأنه شيء جديد.

ولماذا أحتاج أن أُقدم شواهد أكثر عن التجديد، إذا كان من السهل أن نوضح معاني الاحتفال الحالي؛ الاحتفال الذي يجعلنا نلامس الحياة التي بعد الموت؟ إنَّ عيدنا اليوم هو عيد التجديد، يا

أخوتي وأخواتي – عيد التجديد والتكريس! دعونا نعلن ذلك مرارًا وتكرارًا في بهجة وفرح!

وما هو الذي يتجدَّد ويتكرس؟ أولئك الذين يعرفون (الإجابة) فليكونوا مُعلمين لنا، أما أولئك الذين لا يعرفون فليكرسوا قدرتهم على الاستماع!

٣– هناك نور أبدي لا يُدنى منه «الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ» (١تي ٦:١٦)، الله، نور بلا بداية أو نهاية، نور غير محدود، مُشرق أبدًا إشراقًا مُثلَّثًا، إلا أن قلة من الناس – أو أقل من القلة – يكونون قادرين على التأمل في مقدار عظمته. وهناك أنوار ثانوية، تستمد سطوعها من النور الأول: القوات التي تحيط به، والأرواح التي تخدمه «أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ!» (عب ١: ١٤) .

أما هذا النور (المخلوق) الذي يضيء حولنا، ليس فقط أنه جاء للوجود حديثًا، لكنه أيضًا يُقاطعه الليل، وهو بدوره يُقاطع الليل بشكل متساوٍ. أنه مُؤتمنٌ على أبصارنا من خلال انتشاره في الهواء، وما يمنحه يأخذه – لأنه يُزوِّد البصر بقوة الرؤية، وهو أول ما تراه عيوننا – وبغمره الأجسامَ المرئيةَ يتيحُ لنا البلوغَ إليها(٥). فالله الذي أراد التآلف

لهذا العالم – المكوَّن من الكائنات المرئية وغير المرئية – مثل البشير الرائع والمنادي العظيم بمقدار عظمته «اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ يُذِيعُ كَلاَمًا، وَلَيْلٌ إِلَى لَيْلٍ يُبْدِي عِلْمًا. لاَ قَوْلَ وَلاَ كَلاَمَ. لاَ يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ.» (مز١٩: ١-٣)، هو ذاته نور للمخلوقات الأبدية، وليس هناك نور آخر (فلماذا يحتاج أولئك الذين يحوزون أعظم الأنوار (غير المخلوق) نوراً آخر؟!)، أما بالنسبة للمخلوقات الدنيا – ونحن من ضمنها– جعل قوة هذا النور (المخلوق) تضيء أولًا. إذ أنه كان من اللائق أن يبدأ «النور العظيم» (الله) عمل الخلق بنور، والذي بواسطته بددَّ الظلام والتشويش والفوضى التي كانت سائدة إلى ذلك الحين (تك ١: ١-٥).

٤– بحسب رأيي، لم يخلق الله هذا النور في البدء بواسطة أداة ما مثل الشمس. كان النور غير مُجسَّدٍ، وغير مرتبط بشمس. وفي وقت لاحق، أُعْطِيَ للشمس مهمة إنارة العالم كله. في حالة المخلوقات الأخرى، أَوْجَدَ الله المادة أولًا، ثم أعطاها شكلها، مُزَيِّنًا كل شيء بنظام وبشكلٍ وحجمٍ. أما في هذه الحالة – ليصنع بذلك أعجوبة أعظم – أوجَدَ الشكلَ أولًا قبل المادة (إذ أن النور هو شكل الشمس)، ثم أضاف المادة بعد ذلك، خالقًا الشمس كالعين المشرقة للنهار(٦).

وهكذا يأخذ الترقيم مكانه بلغة الأيام: الأول، الثاني، الثالث، وهكذا، حتى نصل إلى اليوم السابع، الذي استراح الله فيه من جميع عمله. إن أحداث الخلق تُقسَّم بهذه الأيام، المرتبة بحسب مقاصد الله الفائقة الوصف، ولا يُنسَب للكلمة (اللوغوس) كلي القدرة إتمامها دفعة واحدة، الذي بالنسبة إليه مجرد التفكير أو النطق هو في حد ذاته إتمام العمل.

وعندما يُخلق الإنسان آخر الكل، ويُكرَّم ويُميَّز بقبول صورة الله «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ...» (تك١: ٢٦) وملامسة يديه «وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً.» (تك ٢: ٧)، هذا يجب ألَّا يدهشنا. لأن القصر كان لابدَّ وأن يُوجَد قبل الملك، حتى يمكن أن يدخل إليه الملك في موكبه وهو محاط بكل حاشيته «وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ» (تك ١: ٢٨). «وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا،» (تك ٢: ١٩).

إذا كنا قد بقينا آنذاك على حالتنا الأصلية، وحفظنا الوصية، لكنا قد أصبحنا ما لم نكن عليه، بالبلوغ إلى شجرة الحياة، بالمرور على شجرة المعرفة. وما هو الحال الذي كنا سنصير إليه؟ كنا سنصير خالدين، وأصدقاء حميمين لله. لكن بما أن الموت «لكِنْ بِحَسَدِ إِبْلِيسَ دَخَلَ الْمَوْتُ إِلَى الْعَالَمِ،» (حك ٢:٢٤)، وأخذَ الإنسان أسيرًا بالخداع «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ.» (رو ٥:١٢)، لهذا صار الله إنسانًا، وجاء لكي يتألم بآلامنا، وافتقر باحتماله فقر التكوين كجسد (سر الإخلاء)، لكي نستغني نحن بفقره «فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ.» (١ كو ٨:٩). هذا هو سبب الموت والدفن والقيامة، هذا هو أساس الخليقة الجديدة، وعيدًا بعد عيد. (اليوم الثامن كرمز إلى الدهر الآتي والحياة الجديدة أمرٌ معتادٌ عند آباء الكنيسة).

وها آنذا أُعَيِّدُ مرّة أخرى، محتفلًا بتجديد خلاصي الشخصي!

٥– قد يقول قائل: "ما هذا؟ ألم يكن الأحد الأول (أحد القيامة) – اليوم التالي لتلك الليلة المقدسة التي إستضاءت بشموعنا – هو عيد تجديدنا؟ لماذا تنادي به اليوم؟ هل أنت مجرد شخص محب للاحتفالات، تخترع تعددًا للمناسبات البديعة؟".

الأحد الماضي هو اليوم الذي جلب الخلاص، أما اليوم فهو ذكرى قبول عطية الخلاص. الأحد الماضي كشف الحد الفاصل بين القبر والقيامة، أما اليوم فيكشف بكل وضوح بدايتنا الثانية. وكما بدأ الخلق الأول يوم الأحد (وهذا واضح، لأن السبت الذي توقف فيه العمل كان سابع يوم بعده)، هكذا كان يجب أن تبدأ أيضًا الخليقة الجديدة مرة ثانية يوم الأحد – الذي هو أول الأيام التي تتبعه، وثامن الأيام التي تسبقه – بشكل أسمى مما سبق، وأعجب من العجائب السابقة، لأن هذا اليوم يشير إلى الحياة الآتية التي تمتد أمامنا في السماء.

يبدو أن سليمان الحكيم يلمح إلى ذلك، عندما يوصي قائلًا: «أَعْطِ نَصِيبًا لِسَبْعَةٍ – أي لهذه الحياة الحاضرة –، وَلِثَمَانِيَةٍ أَيْضًا– أي للحياة الآتية»(جا ١١: ٢)، فهو يشير إلى أعمالنا الصالحة في هذه الحياة، وتجديد كل شيء في الحياة الآتية.

ويبدو أن داود العظيم أيضًا لنفس هذا الرجاء يُعَنْوِن مزاميره « على الثامنة» (مز٦، مز١١)(٧)، كما أنه يُصنّف مزمورًا آخر بـ «مزمور أغنية تدشين وتجديد بيت داود» (مزمور ٣٠) ، وهو ذات المزمور الذي نستخدمه في هذا اليوم الذي للتكريس والتجديد. والبيت هو أنفسنا، نحن الذين قد حُسبنا مستحقين أن نكون، وأن نُدعى، وأن نصير هيكلًا لله «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟» (١ كو٣: ١٦).

٦– والآن وقد أصبح لديكم التفسير لهذا اليوم الذي للتجديد. تجدَّدوا إذًا، كرِّسوا أنفسكم. أخلعوا الإنسان العتيق وسيروا في جِدَّة الحياة « أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ، وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ، وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ.» (أف٤: ٢٢–٢٤)، **إقْمَعُوا كلَّ ما يُؤدِي إلى الموت**، هذّبوا كل أعضائكم، نموّا في داخلكم كراهيةً نحو ثمارِ الشجرة الشريرة، بل تقيأوها كليةً، ولنتذكر فقط الطرق القديمة لِنَتَجَنَّبَهَا.

الثمرة التي جلبت لي الموت كانت «شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ » (تك ٣: ٦). دعونا نهرب من الإغراء والجاذبية الخارجية، ونوجه انظارنا إلى داخل نفوسنا. لا تسمح لشهوة الجمال أن تغلبك، وتجعلك أسيرًا لعينيك – **ولا حتى بنظرة خاطفة إن أمكن** – بل تذكر حَوَّاءَ وغوايةَ تلك الثمرة الشهية، وتأمل العلاج المُكْلِف. لأنه كيف لشخص قد دمرته شهواتُه الخاصة أن تُخلصه إرادة آخر؟(٨). لا تجعل حَلْقَكَ حديقةً للمذاقك بحيث تبتلع كل ما يقع في متناول يديك – شهي في البداية وبعد آستهلاكه يُنَفِّرُ. هل حاسة الشم تضعفك؟ تجنب الروائح العطرية. هل حاسة اللمس تضعفك؟ تَخلَّ عن الأشياء الرقيقة والناعمة. هل حاسة السمع تضللك؟ أغلق الباب أمام الكلمات المتقنة والمخادعة، وآفتح فمك لكلمة الله، حتى تجتذب إليك الروحَ «فَتَحْتُ فَمِي واجتَذَبتُ لي روحًا، لأَنِي لِوَصاياكَ اشْتَقتُ.» (مز١١٨: ١٣١) ولا تستنشق موتًا. وإذا أغرتك أي من تلك الأمور المُحرَّمة، تذكر ما كنت عليه، وإلى أيّ

مدى قد سَقَطْتَ. وإن كنتَ قد جِدتَ ولو قليلًا عن التعقُّل، ارجع لنفسك قبل أن تسقط تمامًا، وتنجرف نحو الموت. واستبدل إنسانك **العتيق بالجديد**، واحتفل بتجديد وتكريس نفسك.

٧– اجعل غضبك يكون موجهًا فقط **ضد الحيَّة**، التي بواسطتها سقطت أولًا. اجعل اشتياقك يكون موجهًا فقط **نحو الله**، وليس لأي شيء آخر يمكنه أن يخونك ويخدعك. أعطِ التعقُّلَ المركزَ الأول قبل كل شيءٍ، لا تجعل المَلَكَة الأفضل التي فيك تنقاد وراء الأسوأ. لا تكره وبدون أي مبرِّر أخاك أو أختَك في الإنسانية، الذين مات المسيح من أجلهم، وصار أيضًا أخًا لك – ذاك الذي هو إلهٌ وربٌ. لا تحسد الشخص المستقيم، أنت يا من كنت ضحية لحسد الشيطان، وتم إقناعك بأن الله يبخل عليك، وهكذا كان سقوطك «فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ..» (تك ٣: ١–٥)

لا تخجل من البكاء، أنت يا من عانيت من أمور تستحق دموعًا كثيرة، وبعد ذلك تلقيت رحمة. لا تطرد فقيرًا، أنت يا من أغتنيت باللاهوت. وإذا كنت لا تستطيع أن تكون كريمًا، على الأقل لا تَغتَنِ على حساب الفقراء، بل حتى هذا الطلب يعتبر مطلبًا صعبًا بالنسبة للشخص الجشع الذي لا يشبع. لا تحتقر الغريب، أنت يا مَنْ مِنْ أجلك صار المسيح غريبًا على الأرض، عندما كنَّا جميعنا غرباء وأجنبيين عنه، لئلا تُبعَّد عن الفردوس وتتغرَّب، كما حدث قبلًا. أقتسم سقفك وجدرانك وطعامك وملابسك مع الشخص المحتاج، أنت يا من لديك كل هذه الأشياء بوفرة، أكثر كثيرًا من آحتياجك الشخصي. لا تحبَّ الثروة، إجعلها وسيلة لمساعدة الفقراء. أَغفر لأنه قد غُفر لك. كن رحيمًا، لأنك قد تلقيت رحمة. أكسب العطف لنفسك بتقديمه للآخرين مادام هناك وقت. كرس وجدِّد حياتك كلها والطريقة التي تسلك بها كل يوم.

٨– أنتم يا من تشتركون في نير الزواج، خصصوا شيئًا لله أيضًا، لأنكم قد جُعلتم شركاءه. أَنْتُنَّ أيها العذارى، أمنحن أنفسكن لله بالكلية، لأن لديكن الحرية للقيام بذلك. لا تَسْرُقْنَ لَذَّةً تستعبِدُكُنَّ، فَتَتَخَلَّيْنَ عن حريتكن بالسكن مع رجال ليسوا أزواجكن – إلا أنهم

مع ذلك شركاؤُكُنَّ[٩]. أنا لا أستطيع تحمل المرض العالق الناتج من إيحاءات اللذة الحسيّة، بل أَشْمَئِزُّ حتى من تصورات الشهوة.

أيها الرجال الذين في السلطة، خافوا مِن ذاك الذي أقوى منكم. يا من تجلسون على عروشكم عاليًا، خافوا مِن الجالس أعلى منكم. لا تَعجَب بشيء عابر، ولا تزدَرِ بشيء يدوم. لا تتعلق بشدة بشيء يذوب عند إمساكه بإحكام. لا تَسْعَ من أجل الأشياء التي تجعلك ليس فقط محسودًا بل مكروهًا. لا تُعَظم نفسك، لئلا تسقط أكثر من ذلك. لا تفكر كيف تكون أعلى منزلة من الأشرار، بل آحزن لكونك أدنى منزلة من الأبرار. لا تسخر من عثرات قريبك. تقدم في طريقك بأمان بالقدر الذي يمكنك القيام به، لكن مُدَّ يد المساعدة أيضًا للشخص الواقع على الأرض. عندما تكون مكتئبًا لا تفقد الأمل في الازدهار، وعندما تكون مزدهرًا لا تَنْسَ أوقات الحزن وَوَهَنَ العزيمة. كل سنة تجلبُ أربعة فصول، وكل فترة من الوقت تجلبُ تغييراتٍ كثيرة في الأحوال الإنسانية. دع اليقظة تكبح ملذاتك، ودع الرجاء في ما هو أفضل يكبح أحزانك.

هذه هي الطريقة التي يتم بها تجديد الإنسان. هكذا يجب أن يُحتفل بيوم التجديد والتكريس، بمثل هذا النوع من الأناقة الروحية، بمثل هذا النوع من الولائم الشهية.«وَلَا تَحْضُرُوا أَمَامَ الرَّبِّ فَارِغِينَ.» (تث١٦:١٦) – يقول الرب – بل احضِروا معكم كل ما هو حسن. قدِّم ذاتك اليوم إذًا كشخص جديد، مختلفًا في طباعه وشخصيته، مُتغيِّرًا تمامًا. «الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا.» (٢ كو ٥: ١٧). هذا ما تحضره معك كتقدمة في هذا الاحتفال، تغيَّر للأفضل، ولا تفعل ذلك آستنادًا على ذاتك بل أعلن مع داود: «هذَا التَّغَيُّرِ هُوَ بِيَمِينِ الْعَلِيِّ» (مز ٧٦:١١)، الذي هو مصدر كل فضائل الإنسان. لا يحثك الكتاب المقدس على البقاء بشكل دائم في نفس القالب، بل يجب أن تكون في تغيير مستمر، في تحسن دائم، نحو «خَلِيقَةٍ جَدِيدَةٍ» باستمرار. إن أخطأت تتوب، وإن كانت حياتك مستقيمة فستمددّ ايامك.

٩– بالأمس وضعتم ثقتكم في الأمور الزمنية، تَعَلَّمُوا اليوم أن تثقوا في الله. «حَتَّى مَتَى تَعْرُجُونَ بَيْنَ الْفِرْقَتَيْنِ؟» (١مل ١٨: ٢١). إلى متى تستمر حياتكم على النحو المعتاد دون تغيير؟ يجب أن تحرص في مرحلة ما على بناء بيت جديد! بالأمس كنت تهتم بأن تبدو كشخص مُعتبر، اليوم آخْتَرْ بالأحرى أن تكون هكذا **بحقٍّ**. إلى متى تعيش في عالم التَّمَنِّي والأحلام؟ حان الوقت لتركيز الانتباه على الحقيقة والواقع. بالأمس كنت ممثلًا، اليوم كُنْ شخصًا

متأمِّلًا. بالأمس كنت مشاكسًا وطائشًا، اليوم كُنْ مُهَذَّبًا ولطيفًا. بالأمس كنتَ شخصًا مُعَرْبِدًا، اليوم كُنْ شخصًا معتدلًا. اليوم تشرب الخمرة، غدًا آمتنع عن شرب المسكرات. اليوم تعيش بشكل طائش، تستلقي على الأرائك العاجية، وتدهن نفسك بالعطور الفاخرة، غدًا آسْتَلقِ على الأرض واسهر طوال الليل. بدلًا من أن تكون مُهَرِّجًا، كُنْ شخصًا عميق التفكير. بدلًا من أن تكون غندورًا (شديد التأنُّق)، آرْتَدِ الملابس البسيطة. بدلًا من الغرور والتباهي، كُنْ متواضعًا في سلوكك. بدلًا من العيش تحت سقف مطلي بالذهب، كُنْ قانعًا بغرفة بسيطة. بدلًا من تصلب الرقبة بكبرياء، احنِ رأسك. إذا كانت هذه الأمور هي التي تقود أفكارك وتصرفاتك، سوف تحوز على «رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً» (إش ٦٥:١٧، إش ٦٦:٢٢، ٢بط٣:١٣، رؤ٢١:١)، وسوف تأتي لفهم معناها وسبر أغوارها.

١٠– هلم إذًا نحتفل بهذا العيد مع بعضنا البعض بطريقة تناسب هذا الموسم. إذ أن كل الخليقة تجتمع وتبتهج معنا بجمال هذا العيد. تأملوا في العجائب التي تشاهدها عيونكم! ملكة الفصول (الربيع) تتقدم موكبها لتكرم ملكة الأيام، موزعة مِنْ غِناها الهباتِ الأكثر روعة وجمالًا. الآن تسطع السماء بشكل ابهى، الآن تتوَهَّج اشعة الشمس الذهبية. الآن ازداد بريق مدار القمر تألُّقًا، وازداد لمعان بريق النجوم سُطوعًا. الآن تعانق أمواج البحر الشاطئ معانقة سلامية، وأيضًا الغيوم مع الشمس، والرياح مع الهواء، والأرض مع النباتات، والنباتات مع عيوننا. الآن تنغمر الينابيع بحيوية جديدة، الآن ازداد تدفق الأنهار، مُنْعَتِقَةً من قيود ثلج الشتاء. الآن تَنْضَحُ المروج بعطرٍ شَذِيّ، تتأنق بالأزهارِ النباتاتُ ، واصبح العشب جاهزًا للقص، وتطفر الحملان في الحقول الخصبة التي اخضرَّت حاليًا. الآن تنطلق السفينة من مينائها بأوامر القبطان، وتنشر أجنحة أشرعتها، وترافقها صيحات من الشاطئ مملوءة بمحبة الله[١٠]. والدلفين يمرح راقصًا حولها، وينفخ مبتهجًا، ويقفز خارج الماء، ويرافق البحارة إلى أعماق المياه. الآن يتطلع المُزَارع إلى السماء طالبًا ذاك الذي يعطي ثمر الأرض، ويضبط محراثه، ويضع النير على الثور الحارث، ويقطع آخدودًا منمقًا، مبتهجًا في آماله. الآن يبدأ راعي الغنم بضبط مزماره، والقيام بأداء أغنيته الرعوية، ويقضي وقت الربيع بين الخضرة والصخور. الآن يعتني الغارس بنباتاته، بينما يعد صياد الطيور فخاخه، محملقًا في فروع الشجر، باحثًا بعناية عن رفرفة طير. وصياد الأسماك يحدق في الأعماق، ينظف شبكته، ويجثم فوق صخرة ليستريح.

١١ – الآن تنطلق النحلة الدؤوبُ من الخلية باسطة أجنحتها، مُحلِّقة فوق المروج، جامعة الغنائم من البراعم بمهارة شديدة. واحدة تعمل قرص العسل، ناسجة خلايا سداسية بنمط متشابك للجوانب والزوايا، في عمل يهدف للجمال والأمان في آن واحد. نحلة أخرى تُخزِّن العسل في الخلايا، منتجة لضيفها ثمرة حلوة بدون زراعة. كم أتمنى أن نتشبه نحن أيضًا –مِنْحَل السيِّد المسيح –بهذا النموذج الذي للحكمة والمثابرة.

الآن يبني العصفور عشه أيضًا، واحد يطير، وآخر يدخل العش، وثالث يحلق حوله، تملأهذه العصافير البستان بأغانيها، وتفتن الإنسان بزقزقتها. كل الخليقة تغني لله بالتسابيح، وتعطيه المجد بأصوات بلا كلام، إذ أنه من خلالي يتم تقديم الشكر لله على جميع أعماله. وهكذا تصير كل ترنيمة من ترانيم الخلائق ترنيمتنا، لأني انسِب كل أنواع أغانيهم لي. الآن كل الأجناس الحيَّة تبتسم، ونحن نُجري الاحتفال بجميع حواسنا. الآن يضجر الفرس النبيل من الإسطبل، فينطلق من قيوده، ويصهل عبر الحقول، ويطفر نحو الأنهار.

١٢ – أي شيء آخر يمكنني أن أذكره؟ الآن يخرج الشهداء إلى الهواء الطلق ويقودون الموكب(١١)، ويدْعَونَ شعب المسيح المُخْلِص إلى مزاراتهم المقدسة وذخائرهم البرَّاقة، ويُعلِنُونَ للجمهور نضالهم المكلّل بالنَّصر. أحد هؤلاء هو بطلي المتوّج – نعم هو خاصتي، حتى إن لم يكن في حيِّز كنيستي، لذا أقول لأولئك الذين يفهمونني أجعلوا كل حسد ينحسر!(١٢) – **ماماس الشهير، الراعي والشهيد، الذي كان في الأزمنة السابقة يَحْلِبُ أنثى الأيّل المتدافعة نحوه لتغذي القديس بحليب غير مألوف(١٣)**، والذي الآن يرعى شعب مدينتنا الحضرية(١٤)، والذي يُكرس وقت الربيع اليوم للآلاف الذين يحتشدون حوله من كل الأنحاء، مُزَيِّنًا إياه بجمال الفضيلة، جاعلًا إياه وقتًا مناسبًا لعمل الرعاة وللخُطَبِ التي تحتفل بانتصاره.

باختصار، الوقت الحاضر هو ربيع العالم، الربيع الروحي، ربيع نفوسنا، ربيع أجسادنا، الربيع المرئي، والربيع غير المرئي. ليتنا نشترك جميعًا في الربيع الآتي الذي هو أمامنا، بتغيرنا نحو الأفضل هنا على الأرض. وليتنا نُوفَد جميعًا مُجدَّدين إلى حياتنا الجديدة، في المسيح يسوع ربنا، الذي له كل المجد والكرامة والقوة مع الروح القدس، لمجد الله الآب آمين.

(٤) الكلمة اليونانية المستخدمة هنا τα εγκαίνια والمترجمة **"عيد التجديد"**، لها عدَّة معانٍ، ويستخدمها القديس غريغوريوس في هذه العظة بمهارة بكل معانيها الممكنة، فهي قد تعني "التنصيب" أو "التدشين"، وتعني أيضًا عمل التجديد وإعادة التقويم والإصلاح، وهي نفس الكلمة المستخدمة في السبعينية والعهد الجديد للعيد اليهودي حانوكا (عيد الأنوار)، الذي يُحيي ذكرى تدشين الهيكل بأورشليم بواسطة يهوذا المكابي.

(٥) يتكلم القديس غريغوريوس هنا عن الفرق بين النور الأبدي غير المخلوق أي الله، والنور المخلوق الذي نعرفه في الكون. ويشير إلى أن وجود النور المخلوق هو شرط لرؤية الأشياء، وهو في نفس الوقت شيء مرئي في حد ذاته، فهو يمنح البصر فتتم رؤيته. «وبنورك نعاين النور» (مز ٣٦:٩).

(٦) القديس غريغوريوس يستعرض هنا خلقة النور في اليوم الأول. والشمس والقمر في اليوم الرابع كما جاء في سفر التكوين الاصحاح الأول. نجد وصف الشمس والقمر بتعبير "عيني السموات" مرات عديدة في الأدب اليوناني القديم.

(٧) "على الدرجة الثامنة" (مزمور ٦، ١٢)، هذا العنوان الذي ربما يشير إلى نوع الأداء الموسيقي، أخذه الكثير من الآباء على أنه إشارة إلى ملكوت الله الآتي.

(٨) هنا يشير القديس غريغوريوس إلى أن الإنسان لا يمكن أن يخلص بدون رغبته وإرادته الشخصية. "الله الذي خلقك بدونك لا يستطيع أن يخلصك بدونك" (المغبوط أغسطينوس).

(٩) القديس غريغوريوس هنا يشجب العيش المشترك بين الرجال المكرسين والعذارى في تجمعات رهبانية غير رسمية، الأمر الذي أدانه أيضًا آباء آخرون أمثال القديس يوحنا الذهبي الفم. ويرى غريغوريوس أنه حتى وإن كان هذا التعايش ليس فيه سقوط جسدي، إلا أنه يُعْتَبر هجرًا للحرية التي للبتولية الحقيقية.

(١٠) كانت السفن الشراعية الصغيرة في البحر الأبيض المتوسط عادة لا تبحر في أشهر الشتاء بسبب تواتر العواصف. يشير هنا القديس غريغوريوس بإسلوبه المبدع إلى الشروع في الملاحة ورفع الأشرعة مجددًا مع بدء فصل الربيع.

(١١) من الواضح أن الاحتفال بالشهيد كان يتضمن موكب أو مسيرة في الهواء الطلق، وهم حاملون رفاته المقدسة.

(١٢) هذا هو التلميح المشار إليه في المقدمة، والذي يعتبره القديس نيقيطس موجهًا إلى القديس باسيليوس الكبير، الذي ربما كان حاضرًا في هذه المناسبة. وهنا يعبر القديس غريغوريوس عن محبته الخاصة للشهيد ماماس الذي لا يقع مزاره في نطاق أبرشيته، ويُلمح بشيء من الدعابة أنه لا مجال للحسد في هذا الشأن.

(١٣) المعلومات الموثقة من الناحية التاريخية عن حياة القديس ماماس قليلة، معظمها تصوره راعيًا، يعيش في انسجام مع الحيوانات البرية.

(١٤) أي مدينة قيصرية عاصمة أقليم كبادوكية

المرجع: ترجم هذا النص *(PG 36.608–621)* من الإنجليزية عن:
1- Gregory of Nazianzus Orations, TFOC, Vol-107
2- Gregory of Nazianzus, By Brian E. Daley, ECF, University of Durham

الفصل السابع

«اَلإِنْسَانُ مَوْلُودُ الْمَرْأَةِ، قَلِيلُ الأَيَّامِ وَشَبْعَانُ تَعَبًا. يَخْرُجُ كَالزَّهْرِ ثُمَّ يُنْحَسِمُ وَيَبْرَحُ كَالظِّلِّ وَلاَ يَقِفُ. فَعَلَى مِثْلِ هذَا حَدَّقْتَ عَيْنَيْكَ، وَإِيَّايَ أَحْضَرْتَ إِلَى الْمُحَاكَمَةِ مَعَكَ.» (ايوب١٤:٢-٤).

«فَقَالُوا لَهُ:يَا سَيِّدُ، أَعْطِنَا فِي كُلِّ حِينٍ هذَا الْخُبْزَ» (يو٦:٣٤) .

في سريره، في الطابق الأسفل من الباخرة، كان الجوّ خانقًا والحرّ لا يُطاق. وأحسّ نكتاريوس بانقباض في قلبه، وكأنه يُشارف على الاختناق. فنهض وبحث عن كرسي طويل، وصعد الى سطح الباخرة. كان هناك قليل من الناس، لحسن الحظّ. فقد كان معظم المسافرين من اليونانيين والأوروبيين نساءً ورجالًا يتمتّعون بمُشاهدة **حِيَلِ ساحرٍ ايطالي** في صالون الباخرة؛ وكانت أصواتهم وضحكاتهم تصل بالكاد إلى أذني نكتاريوس.

كان البحر شديد الهدوء، والباخرة تُبحِر في خطٍ مستقيم نحو جبال كريت. وتوالت الأفكار في ذهنه: يا إلهي، ما هو الإنسان؟ ومن هو نكتاريوس، من هو في الحقيقة؟ من أين أتى؟ وَلِمَن هوَ الآن، في الثالثة والاربعين من عمره، يُبحر منفيًا حاملًا صليبه على كتفه، بمثابة علامةٍ للقداسة؟ وبدأت الذكريات.

منذ سنوات في تراقيا الجنوبية، على أرض أباطرة الرّوم القُدامى، نشأ في عائلة كبيرة، الولد الخامس من بين ستة أولاد. كان والده عاملًا مُتْعَبًا يعمل تارة في الأرض، وتارة أخرى في صيد السمك، متواضعًا مثل حبة القمح. وكانت والدته أرثوذكسية يونانية ذات نفس شجيّة، تبلّ خبزها اليومي بدموع الأمل. وكانت هناك انسانة محبوبة، جدّته التي لا يمكن أن ينساها أبدًا. ورغمًا عنه اغرورقت عيناه بالدموع، ثمّ جفّتا بسرعة وامتلأتا من جديد وجفّتا من جديد. أيها الربّ الإله، لم يكن يستطيع التوقف عن البكاء.

وتمتمت شفتاه: "**أجيال من الاستعباد عاشتها الأرثوذكسيّة**"، وراح يردّد: "أيتها الأرثوذكسيّة، تعصف بكِ آلاف الزوابع، وتحاربك آلاف القوّات المظلمة وتثور، تريد اقتلاعك من العالم وتكافح لانتزاعكِ من قلوب الناس. أرادوا أن يجعلوا منكِ أملًا مفقودًا، متحفًا وماضيًا مأساويًا وتاريخًا مرَّ عليه الزمن وانتهى. إلّا أنَّ الله القدير، الثالوث القدوس المُحسِن الكليّ الوداعة والحكمة، هو الذي يسيطر على **هذه الفوضى**، ويرميكِ في زاوية أبعد ما يمكن عن التوقع ويغطيكِ كوردة تحت صخرة. انه يحافظ عليكِ في نفوس أبسط الناس، الذين ليس لهم أية سُلْطَة أو معرفة دنيوية. وها انتِ باقية حتى اليوم، انتِ لا تزالين حيّة موجودة تغذّين الأجيال الناشئة، وتَفْلَحِينَ كل بقعة جيّدة من الأرض، وتوزّعين قوةً وحياةً وسماءً ونورًا وتفتحين للناس أبواب الأبدية".

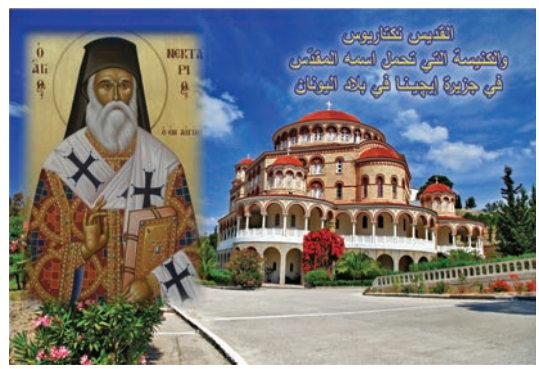

بلى كانت أمّه التي حنتها الصعاب، وجدّته التي حنتها السنون والآلام تحملان بصمت ودِعَةٍ النعمة الإلهيّة المقدسة وتحفظان الأرثوذكسيّة الوديعة والشهيدة سليمة. كان يرى أمه وجدته تُغلقان الستائر كل ليلة لكيلا ينظر الأتراك القنديل مُضَاءً في غرفة الأولاد، ويرونهم جاثين أمام أيقونتي الثالوث القدوس ورئيس الملائكة، يُصَلّون ويُصَلّون ... "تُبارِك نفسي الربّ وليكن اسمه القدوس..." وبعد ان تنتهي كل التّلاوات ويحين دور الصلاة الفرديّة، كانتا تذرفان دمعة صامتة، وهما ترفعان نظريهما إلى سيّدة السماوات، أم الإله الصابرة التي احتملت الكثير من الآلام على الأرض. فتقول أمّه:

– "أيتها العذراء القديسة الملكة والسيّدة، إني لا اطلب سوى أن تذكري زوجي وأولادي الصغار وصحتهم".

وتضيف الجدّة وهي تتكلم عنه:

– "O anastas ، أنستاز، هذا الصبي الذي أحبّه كثيرًا (أنستاز هو اسمه بالمعمودية) ... انه يشبه الملاك، ويصرّ بشدّة على متابعة دروسه، يستهويه الإنجيل والمزامير. ما العمل ونحن فقراء؟ والخبز يعوزنا؟"

وكان هو ينتظر جدّته. كان ينتظر أن تنهض بصعوبة ليهرع اليها فتحضنه بين ذِراعَيْها. وكانت لا تلبس غير قميصٍ طويل فَقَدَ لونه مع الزمن. وكان وجهها الذي برزت عظامه مُكَلَّلًا بشعر أبيض، يبدو من تحت منديلها الوحيد الذي لم تضع غيره في حياتها. إلّا أن عينيها كانتا تعكسان شيئًا غريبًا، عظيمًا: شيئًا يعجز عن وصفه. وعندما تحتضنه كان يستسلم لهذا الحنان الذي لا نهاية له. ثم يقول:

–"تعالي يا جدتي، تعالي ولنقل معًا «ارحمني يا الله كعظيم رحمتك» (مز ٥٠). فتوافق على الدوام، دون ملل أو تعب: "طبعًا يا حبيبي"

ثم تبدأ بتلاوة المزمور بهدوء، وعندما يقتربان من الآية: «فأُعلِّم الأثمة طُرقك والكفرة إليكَ يرجعون» كان يشعر بشيء يخترقه كالتيار الكهربائي، وكأنه "قوّة سحرية"، فيمد يده كالبرق ويغطّي فم جدته قائلًا: – "اعرف، اعرف يا جدتي أن أتابع". وكان ينهي المزمور وحده. هكذا بدأت حياته.

الرجاء في الله: الرجاء في الله يُعْتِق أولئك الذين وقعوا في الخطيئة، ويُعيد الجرحى إلى الصحة ويُقطِّع أغلال السجناء. يشرق الرجاء مثل الفجر الوردي في السماء المعنوي، وينير أولئك المظلِمين بوسخ الروح الحزينة. إنه يصبّ بَلْسَم الراحة على جراح القلب الذي في حداد.

الدواء الشائع: الصلاة هي غوث حياتنا: التحدّث إلى الله، نسيان الأمور الدنيوية، والصعود إلى السماء. انها الدواء الشائع للأهواء، الدواء القادر على حمايتنا منها. أنها تعطي الحياة، وهي ضمان للصحة وبرعم يحمل الأمل. الصلاة سلاح عظيم، وأمان غامر، وكنز كبير، وميناء ضخم، وملاذ آمِن.

تدريب جيد: الصبر فضيلة عند الروح السخيَّة والكريمة. إنه مؤسس على محبة أخيك. انه الشهامة، وارتفاع الذهن وهو صديق الوداعة. الصبر هو شهادة على روح مدرّبة تدريبًا جيدًا، وتعبّر عن نفسه بالتعاطف، والأعمال الإنسانية والتواضع والعدل.

الرحماء: الرحماء دائمًا يتعاملون حتى مع سوء سلوك الغير، بالصبر والوداعة وإظهار التفهم تجاه نواقص الآخرين وأخطائهم. إنهم يرحّبون بالجميع، ويتحدثون بلطف، يتصالحون مع الذين يؤذونهم ويغفرون للخطأة أعمالهم برحمة.

الطريق الخطأ: إذا كنت شمّاتًا فأنت تسعَد لرؤية الناس الآخرين يعانون. أولئك الذين يفعلون ذلك يسعَدون لرؤية عدوهم يموت، وينسون أن الموت سوف يأتي إلينا جميعًا. انهم خبثاء، متجهمون، ونظرتهم ماكرة. شفاههم ضيقة وفمهم مليء بالمرارة. إنهم يزدادون سعادة من المعارك أكثر منه من السلام. طريقتهم في الحياة مشوّهة وهم في الطريق الخطأ.

مضيفو الخيرات: الصَدَقة هي فِعلٌ حسنُ النية. انها صوت داخلي يأتي من قلب نقي يحب جاره. في الجوهر، من الحق أن نعطي ما نحن مدينون به لمن هم في الحاجة. لأن الأغنياء بما حصّلوا من الله هم، في نفس الوقت، مضيفو الخيرات التي أُعطيت إليهم بوفرة ومدبّروها.

الاعتراف: الاعتراف هو الكشف الطوعي والصادق عن الخطايا التي ارتُكبت – من دون خجل أو تردّد، ولكن مع لوم الذّات والندم – أمام مَن عيّنته الكنيسة ليغفر الخطايا. لكي يكون الاعتراف حقيقيًا وفعالًا، يجب أن يكون طوعيًا وصادقًا، لأن الاعتراف المتسرع والمرائي لا معنى له، لأنه ليس إملاءً حقيقيًا من القلب، ولا هو تعبيرًا عن الندم أو مظهرًا من مظاهر الرغبة بالشفاء. لا بدّ للاعتراف أن يتم من دون خجل ولا تردّد، بل بشجاعة وإدانة للذّات، لأن الشجاعة هي تعبير عن رفضنا للخطيئة، بينما العار يدلّ على غياب الشجاعة.

من العادات الخاطئة عند المصريين

وألحَّ الأخوة على أنطونيوس في البقاء إلى جانبهم ليموت هناك، فلم يقبل لأسباب كثيرة، كما كان يُظهِر بصمته. والسبب الرئيس هو أنَّ المصريين اعتادوا تكفين أجساد العُظَماء، وعلى الأخَصِّ الشهداء القدِّيسين، وحفظها من دون دفنها تحت التراب. فكانوا يضعونها على منضدةٍ ويحفظونها داخل البيوت، ظانِّين بأنَّ هذا تكريمٌ للرَّاقدين. فطالما رجا أنطونيوس من الأُسقف أن يرشد الشعب، ووبَّخ الرجال وزجر النساء قائلًا:

[إنَّه أمرٌ غير شرعيٍّ وغير مقدَّس أبدًا؛ فها أجساد البطاركة والأنبياء ما زالت محفوظة حتى هذا اليوم في القبور، كما أنَّ جسد المسيح نفسه وُضِع في قبرٍ ووُضِع حجر عند باب القبر، وبقي مدفونًا إلى أن قام في اليوم الثالث.]

بهذا القول أراهم أنَّ عدم دفن الأجساد أمرٌ يخالف الشريعة، حتى ولو كانت الأجساد مقدَّسة. فأيُّ جسدٍ أسمى وأقدس من جسد الرب. وعندما سمع الكثيرون هذا الكلام، ابتدأوا بدفن الأجساد وشكروا الربَّ، لأنهم تلقَّوا تعليمًا كهذا.

أمَّا هو، فإذ كان يعرف هذا ويخاف من أن يفعلوا هكذا بجسده، غادر بسرعةٍ بعد أن حيَّا الرهبان الذين كانوا في الجبل الخارجي. ففضَّل الجبل الداخلي حيث اعتاد الإقامة. وبعد أشهرٍ قليلة مرض، فدعا النَّاسِكَيْنِ اللذين نسكا معه مدة خمس عشرة سنة وخدماه في شيخوخته وقال لهما:

".. إذا كنتما تهتمان بي، فتذكّرا أنَّني أبٌ لكما، ولا تفسحا المجال للآخرين بنقل جسدي إلى مصر كي لا يضعوه في بيوتهم. لهذا دخلتُ الجبل وأتيتُ إلى هنا. إنَّكما تعلمان كيف كنتُ دائمًا أوبِّخ الذين يفعلون هذا الأمر، حاثًا إيَّاهم على الكفِّ عن هذه العادة.ادفنا جسدي تحت التراب واحفظا قولي، وهو ألَّا يعرف أحدٌ غيركما المكان، لأنني سأحصل عليه بلا فسادٍ في قيامة الأموات".

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الثالثة عشر في العماد

«... وَصُلِبَ وَقُبِرَ»

«ربُّ، من الذي آمن بكلامنا؟ ولمَن ظهرت يَدُ الربّ؟ ... كنعجة سيق الى الذبح وحمل صامت بين يدي من يجزّه هكذا فتح فاه. في ذلّه أُنكِرَ عليه حقّه. تُرى من يصف ذريته؟ لأنّ حياته أُزيلَت عن الأرض ...» (أشعيا ٥٣:١-٨).

٣- فاعلية الصليب

فلا نخجلَنّ من صليب المخلّص، بل لنفتخر به، لأن عقيدة الصليب « لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً!» (١كو١٨:١ ، ٢٣)؛ وأما لنا فهي سبيل الخلاص (كولسي ٢٠:١). « فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ» (١كو١٨:١ ، ٢٤)؛ لأن الذي مات لأجلنا لم يكن مجرّد إنسان، كما قُلنا، بل الله ، ابن الله المتجسد. إن كان الحَمَل، في زمن موسى، يُبعِد المُهلِك (خر ٢٣:١٢) ، فكم بالحري «حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ» (يو٢٩:١)، ألَا يحرّرنا من خطايانا؟ إن كان دم الحمل غير الناطق يأتي بالخلاص، فكم بالحري دم الابن الوحيد ألَا يُخلّصنا؟ (١بط ١٨:١-١٩). إن كان أحد لا يؤمن بقدرة المصلوب، فليسأل الشياطين، وإن كان لا يؤمن بالأقوال، فليثق بالأفعال الظاهرة. كثيرون هم الذين صُلِبوا في العالم، ولكن الشياطين لم يفزعوا منهم، إنما فزعوا من المسيح الذي صُلِبَ لأجلنا، وكانت رؤية صليبه وحدها ترهبهم. مات هؤلاء ليكفّروا عن ذنوبهم، أما هو فمات ليكفّر عن خطايا الآخرين (يو ١٦:٣-١٧ ؛ ١٣:١٨ ؛ ٥٠:١١-٥٣). «الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلَا وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ» (١بطرس٢٢:٢). لم يكن بطرس هو الذي نطق بهذه العبارة حتى يمكن اتهامه بالتملّق لمعلّمه، بل اشعيا الذي قالها: «وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ.» (أشعيا ٨:٥٣-٩). هو الذي لم يكن حاضرًا جسديًا، ولكنه تنبأ في الروح بمجيء المخلّص بالجسد. ولماذا لا آتي هنا إلَّا بشهادة النبي وحده؟ إليك شهادة بيلاطس نفسه الذي حكم عليه، إذ قال: «إِنِّي لاَ أَجِدُ عِلَّةً فِي هذَا الإِنْسَانِ» (لو٢٣:٤). وعندما أسلمه، غسل يديه قائلًا: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هذَا الْبَارِّ!» (متى ٢٧:٢٤). هناك شهادة أخرى عن براءة يسوع، وهي شهادة اللص، أوّل الداخلين الفردوس، عندما انتهر زميله قائلًا: «أَمَّا هُوَ فَلَمْ يَعمَل سُوءًا» (لو٢٣:٤١). لأنّنا كنا، أنا وأنت، حاضِرَيْن أثناء المحاكمة.

٤- واقعية الموت على الصليب

فالحق إذن أن يسوع تألّم لأجل جميع البَشَر. فالصليب لم يكن في الظاهر، وإلّا لكان فداؤنا وهميًا؛ والموت لم يكن خياليًا، وإلا لكان خلاصنا صُوَرِيًا. فلو كان الموت شكليًا، لكان على حق أولئك الذين قالوا: «تذكّرنا أن ذاك المضلّل قال إذ كان حيًا: سأقوم بعد ثلاثة أيام» (متى٢٧:٦٣).لقد كان موته إذن حقيقيًا. لقد صُلِبَ حقًا، ونحن لا نخجل من ذلك. نحن لا ننكر أنه صُلِبَ؛ وأنا بالحريّ أَفْتَخِرُ أن أقول ذلك؛ وحتى إن أنكرت هذا الحدث الآن، فإنّ أحد ما يقنعني على هذه الجلجلة حيث نحن الآن مجتمعون. وتقنعني أيضًا خشبة الصليب التي وُزِّعَت قِطَعًا صغيرة في جميع أنحاء العالم. إنّي أعترف بالصليب لأني أُؤمن بالقيامة. لأنه لو لم يَقُم المصلوب، لما كنت أعترفت بالصليب، بل كنت أخفيته مع سيّدي. ولكن بما أن القيامة أتت بعد الصليب، فأنا لا أخجل من الإجهازِ بذلك.

٥- وإن كان بريئًا، مات المسيح لأنه أراد ذلك

وذاك الذي تجسّد، صُلِبَ كسائر الناس، ولكن لا بسبب خطاياه. إنه لم يُسَق للموت بسبب حبّه للمال، بما أنه كان يعلّم الفقر. ولم يُحكَم عليه بسبب شهوة رديئة، إذ هو الذي قال بوضوح: «إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ. » (متى٥:٢٨) ؛ إنه لم يُحاكَم لأنه جرَح أو ضَرب أحدًا، إذ هو الذي ادار خدَّه للذي كان يصفعه (متى ٢٦:٦٧ ؛ راجع متى ٥:٣٩). ولا لأنه استخف بالشريعة، إذ هو الذي أتى ليكمّلها (متى ٥:١٧)، ولا لأنه أهان نبيًا، إذ كان هو نفسه الذي بشّر به الأنبياء (يو١:٤٥)، ولا لأنه حَرم أحدًا من أجره، إذ كان يشفي بلا أجر مجانًا؛ لم يصنع خطيئة لا بالقول ولا بالفعل ولا بالفكر: «الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلَا وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ ، الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْل.» (١بط ٢:٢٢-٢٣). أقبَلَ على الآلام طوعًا لا مُرغَمًا. واذا جاءه الآن أيضًا من يزجره بقوله: «..حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا!»، لأجابه من جديد:«اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ!» (متى١٦:٢٢-٢٣).

الأرثوذكسيّة (٤٧)

قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار قاعدة الأيمان

أحدثت القيامة تَغيُّرات عميقة في التلاميذ بعد الصَّلب، كان التلاميذ عبارة عن جماعة فاقدة الرجاء خائفة، رجالًا خَابَت آمالهم، مُرتَعبين لئلَّا يُقبَض عليهم وَيُصْلَبُوا هم أيضًا، وجلّ آمالهم كانت أن يعودوا إلى أعمالهم الأولَى وينسوا كل ما مضَى. وبعد سبعة أسابيع فقط (في يوم الخمسين) نَرى تغييرًا عجيبًا في هؤلاء الرجال. كانوا مملوئين برجاء مُتَوَهِّج وثقة، وبشجاعة جَعَلتهم قَادرين أن يَتَحَدُّوا كل اعتراض في مَسعاهم، لِيُعَلّموا ويكرزوا بالمسيح القائم الحيّ. علينا فقط أن نتذكَّر كيف أنَّ بطرس أنكر سيِّده ثلاث مرَّات لينجو بِجِلده، وبعد شهرين فقط، بطرس هذا عينه نراه واقفًا أمام السنهدريم يَشهد للمسيح بلا وَجَل مُتَحَدِّيًا كل مقاومة. ما سبب هذا التغيير؟ أَلَا يَلزَم لكل تغيير أن يكون له سببٌ مناسب؟ كان سبب تغيير بطرس هو اقتناعه التَّام وبدون أدنى شَكٍّ بأنَّ يسوع قام من الموت. لقد رآه بالفعل وتحدَّث معه، إنَّه كان شاهدًا، ولأجل هذا كان راغبًا في أن يَضَع حياته لأجل سَيِّده القائم.

فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ

يُؤكِّد القدِّيس يوحنا الذهبي الفم أنَّ الله سَمَحَ ليسوع أن يظلّ في المقبرة ليس يومًا واحدًا فقط إنَّما ثلاثة أيام ليقنع غير المُؤمنين أنَّه مات حقًّا.

يعتقد اليهود أنَّ الإنسان لا يكون قد مات بالفعل إلَّا بعد مرور ثلاثة أيام، ويَظِنُّون أنَّ أرواح المُنتَقِلين تحوم حول الجَسَد لمدَّة ثلاثة أيام، وفي خلالها يوجد احتمال أن تعود وتسكن في الجسد، ولكن بعد هذه الأيام الثلاثة فإنَّها تُغادر المكان تمامًا، ولهذا اعتاد اليهود أن يزوروا القبر في كل يوم من هذه الأيام الثلاثة بعد الدفن لينظروا ما إذا كانت الروح قد عادَت، وبعد انتهاء هذه الأيام لا رجاء في عودة الحياة. لهذا السبب ذُكِرَت الثلاثة أيام في قانون الإيمان لِتُنبِّر على حقيقة موت السيِّد.

علينا أن نتذكَّر أنَّ اليوم اليهودي يبدأ الساعة السادسة مساءً، ويسوع مات ودُفن يوم الجمعة قبل الساعة السادسة، وهذا يُحسب اليوم الأوَّل، أمَّا يوم السبت بأكمله فكان اليوم الثاني، ، وفي الساعة السادسة مساء السبت يبدأ اليوم الثالث، والمسيح قام باكرًا في صباح اليوم الثالث.

أخبَرَ يسوع تلاميذه أنَّه سوف يقوم في اليوم الثالث ومن الغريب أنَّ التلاميذ لَمْ يُصَدّقوا هذا القول، ولكن أعداء المسيح صَدَّقوا، لذلك لم يُنكروا احتمال وقوع ذلك، فسألوا بيلاطس أن يسمَح لهم بوضع حُرَّاس على القبر: «يَا سَيِّدُ ، قَدْ تَذَكَّرْنَا أَنَّ ذلِكَ الْمُضِلَّ قَالَ وَهُوَ حَيٌّ: إِنِّي بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَقُومُ.فَمُرْ بِضَبْطِ الْقَبْرِ إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ، لِئَلاَّ يَأْتِيَ تَلاَمِيذُهُ لَيْلًا وَيَسْرِقُوهُ، وَيَقُولُوا لِلشَّعْبِ:إِنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ ، فَتَكُونَ الضَّلاَلَةُ الأَخِيرَةُ أَشَرَّ مِنَ الأُولَى!» (مت٢٧: ٦٣-٦٤). وهكذا كان أوَّل شهود القيامة الذين زَوَّدونا بهذا الخَبَر هم الجنود عن غير قصد لـمَّا رأوا الحجر قد دُحرج عن القبر.

في أول الفجر في اليوم الثالث حدث أنْ: ”ذهبت النسوة الى القبر ورأين القبر فارغًا“ وقال لهن الملاكان الواقفان بالثياب البرَّاقة: «لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟ لَيْسَ هُوَ ههُنَا، لكِنَّهُ قَامَ! اُذْكُرْنَ كَيْفَ كَلَّمَكُنَّ وَهُوَ بَعْدُ فِي الْجَلِيلِ قَائِلًا: إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُسَلَّمَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي أَيْدِي أُنَاسٍ خُطَاةٍ، وَيُصْلَبَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ. فَتَذَكَّرْنَ كَلاَمَهُ» (لو٢٤:٥-٨). لقد سمعنَ يسوع يُنبِىء بقيامته، ولكنهن ببساطة لم يُصَدِّقنَ. الآن يَسْتَعِدْنَ القول. لقد صَدَّقنَ وآمَنَّ واندَفَعنَ لِيُخْبِرْنَ التَلاميذ الحزَانى بالأخبار المُذهِلة.

من كواذب الاخلاق ونقائص الإنسان حُكمه على أخيهِ بلا اختبار ولا تمحيص ، وسرعة تصديقه كل ما يسمعه بلا امعان وَرَوِيَّةٍ وارتكازه على الظواهر في كلّ شيء التي هي أغشّ وأكذب كُلّ شيء.

العهد القديم في الكتاب المقدس (٨٨)

فترة السبي في بابل

ثالثًا: اليهود في السبي:

من العسير أن نعرف الكثير عن تاريخ يهوذا في هذا الوقت لأن مركز الحياة اليهودية انتهى وتشتّت الشعب، لكن كان هناك مركزان كبيران في مصر وبابل، كَوَّنت الجماعة المنفية في مصر مجتمعًا يهوديًا ظَلَّ ينمو في العدد، ويتزاد في النفوذ كما أنه صادف نجاحًا في التجارة والسياسة (تزايد هذا النجاح في حُكم البطالسة بين القرن الرابع والأول ق.م.) حتى أسّسوا مستعمرة يهودية في جزيرة **الفنتين عند الجندول بأسوان** وبنوا لهم هيكلًا في الجزيرة وفي سنة ١٩٠٣م اكتُشفت برديات ووثائق بالآرامية لا يتجاوز تاريخ تدوينها مائة عام بعد موت **ارميا النبي** وهي سنة ٤٠٨ ق.م. وهي تحوي مستندات تاريخية عن جالية يهودية سكنت المكان في هذا الوقت وهو الموافق لزمن **عزرا**.

منظر لجزيرة إلفنتين (من برج فندق موڤنبيك)
وهي احدى جزر مصر النيلية تقع بمدينة أسوان، طولها نحو ١٥٠٠م، و ٥٠٠م عرضًا، أغلب سكانها من النوبيين. فيها مساحات زراعية اغلبها من النخيل، ومتحف أسوان، وبقايا من معابد حجرية من العصور المختلفة).

أَمَّا في بابل فقد كانت أعداد اليهود أكثر منها في مصر، وَكَوَّنوا يهود الشتات وهي جماعات يهودية استوطنت بالقرب من نهر خابور أحد أنهار بابل (حزقيال ١:١) وبُنِيَت مستوطنات حوله في تل أبيب «فَجِئْتُ إِلَى الْمَسْبِيِّينَ عِنْدَ تَلِّ أَبِيبَ، السَّاكِنِينَ عِنْدَ نَهْرِ خَابُورَ» (حزقيال ٣: ١٥). وكذلك جنوب تل الملح وتل حرشا (عز٢:٥٩ ، نح٧:٦١). وقد سُمِحَ لليهود أن يعيشوا في جماعات، وأن يعملوا بالزراعة والأعمال الأخرى لذلك صار كثيرٌ منهم أغنياء وتمتّع اليهود في بابل بكثير من الحرية، وسعى المتدينون اليهود بالحفاظ على هويتهم خوفًا من سهولة ذوبانهم في الحضارة البابلية، مما يُسرع في انحلال العقيدة اليهودية وامتزاجها بالمعتقدات البابلية فتزول مقاومتهم تدريجيًا وتنحلّ قوميتهم خاصة أنَّ ما يتمتّع به الشعب من ميزات راحة في السبي تُشَجِّع هذا الذوبان والانحلال، فقامت جماعة المتدينين اليهود بحماس يحثّون الشعب على الحفاظ على كيانهم والتمسّك بشخصيتهم اليهودية، واحياء العقيدة في نفوس الشعب فظهرت مكانة "**الرّابِي**" أيّ "**المعلِّم**" واهتموا بحفظ الشريعة وممارساتهم الدينية في حفظ السبت والختان، تلك التقاليد والطقوس التي تميّزهم عن جيرانهم، ومع هذه الغيرة لاقت هذه الفترة نهضة دينية وأدبيّة.

وإن كانت بابل قد امتدت وامتلكت امبراطورية عظيمة، وأثبتَ نبوخذنصَّر أنه كُفء لحكم الامبراطورية، وقد كان مُصلِحًا، وشملت أعماله العمرانية جميع بلاد بابل فقد شَقَّ التُرَع وبَنى السدود ونشر الثقافة البابلية في بلدان الشرق الأدنى، كما نشر عبادة الإله مردوخ، وَشَيَّد في عاصمة مملكته بابل معبد ذلك الإله. وبنى باب عشتار وزيّنه بآجر مزجج ومُلَوَّن بألوان زاهية بِصُوَر حيوانات ناتئة تمثّل حيوانات وصورًا لحيوان خُرافي رمزًا **لمردوخ**، وبنى لنفسه عدة قصور وَشَيَّد الحدائق المعلّقة التي اشتهرت في التاريخ بكونها إحدى عجائب الدنيا السبع، وبنى الحصون القويّة والأبراج الشامخة وبنى مدينة بابل العظيمة وهو ما سجّله دانيال في كتاباته (دا٤:٣٠)، وحفائر بابل تُشيد بتلك العَظَمة التي ذكرها الكتاب المقدس ولم يسبق لها مثيل من فخامة القصور والمعابد وفن الزخرف والرسوم وعلى جدران قصره سجَّل اسمه واسماء تلك الدول التي افتتحها، لكن بعد موت نبوخذنصَّر سنة ٥٦٢ ق.م. توالى على عرش بابل عدة ملوك كان آخرهم نبونيدس (٥٥٦-٥٣٩ ق.م.) ترك الحُكم لابنه بيلشاصر (دا٥:١)، واستشرى في أيامه الفَساد في البلاد وانهارت الإدارة، ولم تَدُم الامبراطورية البابلية إذ ظهر الخطر العظيم في بلاد فارس، فقام ملك يدعى كورش الذي تَوسَّع في بلاد مادي وجهَّز حملة قويّة إتَّجه بها إلى بابل حيث فتحها وقتل بيلشاصر في الليلة التالية للوليمة (دا٥:٣٠) وسبى نبونيدس وبحلول سنة ٥٣٩ ق.م. كان قد انتهى عصر بابل الذي لم يكن طويل الأمد (أش١٣:١٩).

من أقوال الآباء عن المرأة السامرية

١- إذا تمتعت السامرية بالحقّ الإلهي تركت جرّتها، ونسيت ما جاءت من أجله، وعادت إلى المدينة دون الماء، إنما لتقدم ماء الحقّ لأهل المدينة. تركت جرتها لأنها لم ترد أن تعوّقها الجرة عن الإسراع نحو المدينة لتشهد للحق. أخبرت الجميع في الشوارع أنها وجدت الكنز الذي تبحث عنه، ووجدت ينبوع سرورها الداخلي، سبق أن طلب السيِّد منها أن تدعو زوجها وها هي قد دعت كل رجال المدينة، ونجحت في مهمتها لم تخبرهم أنه حاورها في أمور دينية خطيرة خاصة بمكان العبادة وطريقة ممارستها، بل ما لمس قلبها حقًا أنه عرف أسرارها واجتذبها بقوة كلمته إليه، فتعرفت على شخصه، إنه هو المسيّا ربما تركت جرّة الماء التي كانت في بئر تعتز بعمقها، أي بالتعاليم، إذ احتقرت الأفكار التي سبق أن قَبِلَتْهَا، وتَقبَّلت جرّة أفضل من جرّة الماء، تحوي ماءً ينبع إلى حياة أبدية (يو ٤: ١٤)، هنا امرأة أعلنت عن المسيح للسامريين، وفي نهاية الأناجيل أيضًا امرأة رأته قبل الآخرين تخبر الرسل عن قيامة المخلص (يو ٢٠: ١٨)، لقد جلبت أيضًا نفعًا للذين سكنوا معها في ذات المدينة، على أساس معتقداتها القديمة، أي شاركوها تعاليمها الخاطئة. إنها العلة التي جعلتهم يخرجون من المدينة ويأتون إلى يسوع. **(العلامة أوريجينوس)**.

٢- جاءت لتستقي ماءً، وعندما استنارت وعرفت الينبوع الحقيقي للتوّ احتقرت الينبوع الماديّ. وهي في هذه الواقعة البسيطة تعلمنا أن نتجاوز عن أمور الحياة المادِيَّة عندما نصغي للروحانيات؛ دون أن يوجِّه لها أحدٌ أمرًا تركت جرّتها، وعلى جناحَي الفرح والبهجة أسرعت وصنعت ما فعله الإنجيليون، ولم تدعُ واحدًا أو اثنين، كما فعل **التلميذان أندراوس وفيلبس**، إنما دعت مدينة بأكملها، وأتت بهم إلى الربّ يسوع. آمنت المرأة السامرية على الفور، وبذلك اتضح أنها أكثر حكمة من **نيقوديموس**، بل وأكثر شجاعة وثباتًا. لأن **نيقوديموس** بعد أن سمع قدر ما سمعت المرأة بآلاف المرات لم يذهب ويدعُ آخرين لسماع هذه الكلمات، ولا تحدَّثَ بصراحةٍ على الملأ. لكن هذه المرأة فعلت ما لم يفعله الرسل، إذ قامت بالكرازة للجميع تدعوهم إلى المسيح. بذلك قادت مدينة بأكملها إلى الإيمان بيسوع المسيح. **(القديس يوحنا الذهبي الفم)**

٣- «هَلُمُّوا انْظُرُوا إِنْسَانًا قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ. أَلَعَلَّ هذَا هُوَ الْمَسِيحُ؟» كلمات السامرية تكشف عن سعادتها الداخلية بلقائها مع المسيّا مخلِّص العالم، وتمتُّعها بمن يملأ أعماقها. لم يهبها الرجال الستَّة سعادة، لكن لقاءها مع مخلِّصها بعث فيها روح السعادة والعمل من أجل الآخرين لخلاصهم.

لم تكن الدعوة أن يأتوا ليروا أمرًا غريبًا، ولا أن يدخلوا معه في حوارٍ، بل أن يتمتعوا بفاحص القلوب، المسيّا مخلِّص العالم. فمن أهم السِّمَات التي كان اليهود ينتظرونها في المسيّا أنه عالم بما في القلوب كانت السامرية حكيمة في كرازتها، إذ لم تُملِ عليهم إيمانها فيه بل بحكمة طلبت منهم أن يأتوا وينظروا ليتحقَّقوا من شخصه: «ألعل هذا هو المسيح؟!» مرّة أخرى لاحظوا حكمة المرأة العظيمة. فإنها لم تعلن الحقيقة بوضوح، ولا بقيت صامتة، ولا رغبت في إحضارهم باقتناعها هي، بل لتجعلهم يشتركون في هذا الرأي باستماعهم له، حيث صارت كلماتها لهم مقبولة فعلًا لم تخجل من قولها أنه قال لها كل مع فعلته فإنها لم تعد تنظر إلى ما هو أرضي، ولا تعود تلقي بالًا إلى مجد دنيوي أو عارٍ، لكنها أصبحت منتمية إلى شيءٍ واحدٍ فقط، وهي تلك الشعلة المقدسة المتقدة داخلها والممتلئة بها «ألعل هذا هو المسيح؟!» لم ترغب في أن تأتي بهم بإرادتها هي واقتناعها، بل أرادت أن يكون لهم الرأي عندما يستمعون إليه. هذا ما جعل كلماتها أكثر قبولًا لديهم... لم تقل [هلموا آمنوا] بل «هلموا انظروا»، وهو تعبير أكثر رقة وجاذبية لهم. **(القديس يوحنا الذهبي الفم)**

٤- الأقوال التي قيلت للمرأة ألهبتها إلى أن أوصلها الشوق المتقد إلى ترك جرّتها، وإهمال الحاجة التي جاءت لأجلها، ورجعت إلى مدينتها لتجتذب إلى المسيح كافة الجموع التي كانت فيها. تأمل حرص المرأة وفهمها، لأنها جاءت تستقي، فلما وجدت الينبوع الحقيقي احتقرت الينبوع المحسوس، فأصبحت معلمة لنا. وعلى حسب قُوَّتِهَا عملت العمل الذي عمله رسل ربّنا، لأن أولئك لما دُعوا تركوا شباكهم، وهذه فمن ذاتها تركت جرتها وعملت عمل المبشرين. ولم تستدعِ واحدًا أو اثنين، لكنها استنهضت مدينة بأكملها وجمعًا جزيلاً تقديره، واقتادتهم إلى المسيح تأمل كيف اقتادت المرأة أهل المدينة بأوفر فهمٍ، لأنها لم تقل لهم: تعالوا أبصروا المسيح، لكنها اجتذبت الناس بالمقارنة التي اقتنصها بها المسيح. قالت المرأة السامرية: «هَلُمُّوا انْظُرُوا إِنْسَانًا قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ.»، لم تخجل أن تقول ذلك، مع أنه كان يمكنها أن تقول قولًا غير هذا، وهو: تعالوا انظروا من يتنبأ. إذا أُضْرِمَتِ النار الإلهية نفوس أحدنا لا ينظر إلى شيءٍ من الأمور الأرضية، لا إلى الشرف ولا إلى الخجل؛ انظر حكمة المرأة إنها لم تجزم أنه هو المسيح بحكم واضح ولا صمتت، لأنها أرادت أن تجتذبهم إليه، ليس بحكمها هي، وإنما باستماعهم له. **(القديس يوحنا الذهبي الفم)**

٥- بينما انطلقت المرأة السامرية للكرازة بكل قوّة، إذ بالتلاميذ ينشغلون بتقديم طعام للسيِّد المسيح، لأنه كان جائعًا ومُتعبًا كان السيِّد المسيح ينتهز كل فرصة ليرفع عقول تلاميذه وقلوبهم إلى ما فوق الزمن، إلى السماء عينها. لقد أعلن لهم عن مدى بهجته بخلاص النفوس بكونه طعامه الشهيّ. لقد وجد شبعه وراحته في التعب من أجل كل نفسٍ، ومن أجل تحقيق خِطَّةِ أبيه. إنه لن يستريح، بل يبقى مثابرًا على العمل حتى يعبر من هذا العالم. **(العلامة أوريجينوس)**